المفهوم والمفارقة:
إشكالية الديمقراطية في فلسفة جيل دولوز

د. سامي محمد عبد العال

أستاذ مساعد– قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة الزقازيق

ملخص البحث

فلسفياً تُجسد الديمقراطية بعض المفارقات بين النظرية والتطبيق. وهي مفارقات لا تخلو من دلالة منطقية وسياسية، لأنَّ السياسة فن الممكن الذي يحقق (على المدى البعيد) ما هو مستحيل. من حيث– أو هكذا يُفترض– إدارة المجتمعات وتحقيق أهدافها ورسم آفاق الخيال العام. ولعلَّ المفارقات عند الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز نوع من السيرورة في أبنية المفاهيم كمفهوم الديمقراطية والسياسة إجمالاً. لذلك يناقشها دولوز في إطار تأصيل فلسفي للمسألة كرغباتٍ قصوى لدى الإنسان. تحاول الدراسة التقاط هذا الخيط توضيحاً وكشفاً وتحليلاً. على أساس أنَّ المفارقات تختبر قدرات الديمقراطية كوسائط معبرة عن فاعليات عامة، يجب أنْ تواكب الحرية وحقوق الإنسان والعدالة والتعددية. فهناك مفارقة المفهوم والماصدق، مفارقة الاسم والمسمى، مفارقة الإرادة والسلطة، مفارقة الحضور والغياب.

في كل مفارقةٍ يوجد جانبان: جانب التأصيل كشفاً لجذور الديمقراطية وجانب الانفتاح مع امكانيات العيش المشترك والالتقاء بالآخر. يرى دولوز أنَّ المسألة ترجع لحيوية الإنسان ككائن راغب مبدع وبإمكانه ترجمة الرغبات في إنتاج التاريخ وأنماط العيش. لأن الرغبة لديه سياسات فاعلة لابتكار ممارسات متنوعة مع دفق الحياة. ليست الرغبة ارتكاساً، إنما تطوراً وعصفاً بكل دجما أو ايديولوجيا سياسية. ولذلك رأى دولوز في الرأسمالية وظيفة أيديولوجية تقمع طاقات الإنسان وتطرحها في إطار توظيف سياسي لصالح الهيمنة السياسية، هي اقتصاد الرغبات المصطنعة والمفتعلة والمقموعة. بينما المفارقات في السياسة قد تصبح أفعالاً مفتوحةً من جنس الرغبة في الاختلاف وممارسة التعددية. هذا هو التحول الدولوزي الذي يرصد ما هو سياسي داخل ما هو فلسفي والعكس. كلُّ مفهوم في دائرة الديمقراطية ضرب من تسييس الرغبة الذي يجب تحريره وابتكاره، لأنَّها توجد بصيغة التغيير للأفضل.

الكلمات المفتاحية: (المفارقة– سياسات المفارقة– جيل دولوز– الديمقراطية– التعددية السياسة).

(ISSN: 2536 - 9555)

The Concept and the Paradox:
The problematic of democracy in the philosophy of Gilles Deleuze

Dr. Sami Mohamed Abelaal
Assistant Professor- Philosophy Department
Faculty of Arts– Zagazig University

Abstract

Philosophically, democracy embodies some of the paradoxes between theory and practice. They are paradoxes that are not without logical and political connotations together, because politics is the art of the possible that achieves (in the long run) what is impossible. In terms of- or so it is assumed- managing societies, achieving their goals, and drawing horizons for the public imagination. Perhaps, the paradoxes of the French philosopher Gilles Deleuze are a kind of process that exists in conceptual structures such as the concept of democracy and politics in general. That is why Deleuze discusses them in the context of a philosophical rooting of the issue as the highest desires of man. The study attempts to capture this thread for clarification, disclosure and analysis. On the basis that paradoxes test the capabilities of democracy as mediums expressing life and public activities, which must accompany freedom, human rights and justice. There is the paradox of intension and extension, the paradox of name and named, the paradox of will and authority, the paradox of presence and absence.

In every paradox, there are two aspects: rooting to reveal the roots of democracy and openness with new possibilities for coexistence and meeting with others. Deleuze believes that the issue is due to the vitality of the human being as a willing creative being who can translate desires to produce history and patterns of life. Because Desire has active policies to devise diverse practices with the flow of life. Desire is not a reaction, but rather a development and storm that stormed with cynicism or political ideology. That is why Deleuze saw in capitalism an ideological function that suppresses human energies and puts them in the framework of political employment in favor of political hegemony, which is the economy of artificial, contrived and suppressed desires. While paradoxes in politics may become open acts of the gender of the desire for difference and the practice of pluralism. Perhaps this is the Deleuzeian shift that detects what is political within what is philosophical. Every concept in the circle of democracy is a form of politicization of desire that must be liberated and innovated, because it exists in the form of change, the process of different opportunities for a better life.

Key words (paradox- politics of paradox- Gilles Deleuze- democracy- political pluralism).

تقديم:

تُدرِك الفلسفةُ وجودَ المفارقات paradoxes مثلما تُدرك ذاتَها، فهذا لا ينفصل عن ذاك بحالٍ من الأحوال. لأنَّ سؤال المفارقة هو سؤال في ماهية التفلسف ذاته. والإدراك ليس فعلاً معرفياً، بل فنياً يرتبطُ ببنية الصياغة الفلسفية. فالفلاسفة يطرحون أبعاداً نسقيةً systematic تكشفُ: أين سيحدث التناقضُ ومتى سيظهر وبأيةِ معانٍ سيكون؟! ذلكَ تبعاً للأطر الفكرية التي تخفض نبراته بين عناصرها، أو بالأقل تُعطي نفسها قدرةً لإدارته أثناء التنظير للقضايا. فقد اعتمدت بعضُ الفلسفات المعاصرة (ولا سيما اتجاهات ما بعد الحداثة) على دلالاتِ المفارقة إزاء الأفكار والآراء والأحداث.

يفترض التفلسف تماسُكاً نسبياً relative وترحالاً من خطوةٍ إلى أخرى باعتباره أفكاراً غير محتملة الثبات. والنسق لا يعني مذهباً بالضرورة، إنما يمثل لا حدوداً إشكالية problematic non-borders تُحققُ سمات الفكر. ومن ثمَّ تحمل المفارقات ازدواجاً يخفق في إيصال المعاني كما هي، ويُحْدِث تبايناً دلالياً فيما تقول المفاهيم وتفعل، ناهيك عما يتركه الازدواج من ثنائية الفكرة والممارسة على نطاقٍ واسع. فقد ينتظر المتلقي أنْ يأتي المعنى واحداً خلف المفاهيم، لكنه سيُدرك أنَّ هناك اختلافاً بين مراحل تكوينها.

تاريخياً، حاولت الفلسفةُ بناءَ المفاهيم التي تحدد الرؤى العقلية والتنظيرات. لأنَّ المفهومَ بالنسبة للفكر مثل المجال المغناطيسيmagnetic field للأشياء وحركتها، حيث يعيّن العلاقات والمسافات بينها وبين سواها، لدرجة أنَّها تتحرك تقارُباً أو تباعداً بقدر موقعها من مصدر الجاذبية. وستظهر الفلسفة كنشاطٍ فكريّ يؤسسُ لنظام من المفاهيم المفتوحة كما يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر جيل دولوز Gilles Deleuze وسنفصل ذلك لاحقاً في ثنايا الدراسة. أي أنَّ التفلسف لديه بالمقام الأول فعل ابداع للمفاهيم ورسم الفضاءات الخاصة بها، من زاوية تنوع دلالتها وتكوينها في الوقت عينه.

إذا أخذنا الفكرة السابقةً بعين الاعتبار، فالسؤال الرئيس: ما هو تطبيق فكرتى (المفهوم والمفارقة) عند دولوز على الديمقراطية؟ وهل مفهوم الديمقراطية ذو

(ISSN: 2536 - 9555)

دلالات مزدوجة وأكثر، ولئن كان كذلك، فأيَّة عناصر تشكله؟ وما هي المفارقات التي تكتنفه؟ وهل مفارقات الديمقراطية جزءٌ من تكوينها أم طفرة منحرفة عن بنيتها؟ وما علاقة مفارقات الديمقراطية بالسياسة إجمالاً؟ وكيف تصبح مفارقات الديمقراطية لصالحها سياسياً؟

المشكلة (إعادة التأسيس- الرؤية)

لم تنقطع الديمقراطية كنظريةٍ وأفعال سياسيةٍ عن ازدواج ما يخلخل جوانبها جاعلاً المفارقات تتوالد كلما قطعت شوطاً. هذا "لأنَّ الديمقراطية كنظرية باختلاف وجوهها تبقي مرهونةً بالتطبيق كممارسة"، ثم تعدُّ الممارسة انحرافاً لبنيتها ونقداً عملياً لما تؤول إليه ولما تتأسس عليه، ولا يلتقي الطرفان إلاَّ في حالة وجود فائض من الأسئلة الناقدة. حينئذ يصبح النظام السياسى على المحك، نظراً لأنَّ الديمقراطية (فكراً وتطبيقاً) توسّع هوة التفكير العائدة بظلالها القاتمة على البناء الفلسفي للمفاهيم. فالتنوع المفترض للديمقراطية لا يأتي بفضل المفارقة فقط، لأنَّ تنوعاً بهذه الطريقة هو صنف من التناقضات التي تخلخل المفاهيم ولا تؤكدها!!

تُلاحظ الفلسفةُ دلالة المفارقات سياسياً كعلامةٍ للتفكير في المبادئ والقيم والنظريات، وما إذا كانت قائمةً على شيء يخالف تكوينها أم لا؟ وبخاصة أن فلسفة دولوز توفر جهازاً فكرياً لمناقشة قضايا السياسة، فهناك(الاختلاف والتكرار والحدث والتعددية والرغبة وسياسات الحقيقة والرأسمالية والشيزوفرينيا). إن الفلسفة السياسية هي تحليل وتأويل لأبنية المفاهيم السياسية وكيف تتحول من أفكارٍ ومعانٍ إلى أنظمة ثقافية وتداولية لها أدواتها وتصوراتها المُبرّرة وغير المبررة. والمفارقات تخترق كل هذا التراكم السياسى، لكونِّها مثل الآثار الجانبية side effects الملازمة للنظام العام. الفارق الجوهري كونَّها آثاراً ضروريةً، ليس فقط بما تُوجد في سياقه، بل لأنها تفتح المفاهيم السياسية على آفاق جديدةٍ.

هكذا تقع المفارقات في صلب الديمقراطية، وليست دخيلةً عليها للأسباب التالية:

١- الديمقراطية من المفاهيم النسقية systematic concepts بحكم انطوائها على المرجعيةِ (الخلفيات) والقيم والوسائل معاً، كما أنَّها تحدد فضاءً للتفكير وقطع المراحل.

٢- يصعُب أنْ تظل الديمقراطية فكرة مجردة، لأنَّ الممارسة جزء من تكوينها التاريخي، بل والمنطقي أيضاً. فقد اعتبر ارسطو السياسةَ "politikê" من العلوم العملية لا النظرية، فهي كعلم "politikê episteme" تعنى بالأفعال الخيرة والحكمة العملية (الأعمال النبيلة- إسعاد المواطنين)[1].

٣- تنطوي الديمقراطية على فجواتٍ من طبيعة تكوينها نظراً لتباين عناصرها، سواء تداول السلطة أم حال الشعب أم نظام الممارسة الحزبية أم آفاق الثقافة.

٤- لم تحُل الديمقراطية دون وجود الاستبداد والديكتاتوريات باسمها، فهي دائرة تحتمل نقيضها، وبإمكان السلطة على خلفياتها التعايش مع العسف بالمبادئ الديمقراطية.

٥- المفارقات في الديمقراطية بنائية structural، أي هي جزء من نسيج نظامها وعملها التاريخي. لا توجد بنية سياسية ديمقراطية خالصة لذاتها دون تناقضات.

٦- المفارقات داخل الديمقراطية غير قابلة للحل insoluble، لأنها أساسية فلسفياً بطريقة من الطرق، وهذا أحد اسرار ثراء الديمقراطية من ناحية وأحد تجليات ثغراتها من ناحية أخرى. بمعنى لولا المفارقات، لما كانت هناك إمكانية السيرورة في أبنية الأنظمة السياسية.

٧- الديمقراطية هي مظهر الرغبات السائلة والمتناقضة مع أفعال السلطة. فالرغبة لدى فرويد تساوي التناقض النفسي- المنطقي بين مقابلة الآخر على نطاق السياسة والاستئثار بالانا ونزعاته الخاصة (هيمنة الحُكم وفرض الوجود والاستحواذ). وهذا على صعيد السياسة يخلط بين الذاتي والموضوعي، المعرفي والاسطوري، الغرائزي والقيمي، أي بين الوعي واللاوعي.

٨- تطرح المفارقة في إطار الديمقراطية الجانب السيكولوجي (الوجودي) والمنطقي. ولا يعود هذا إلى خلفيات حداثية أو ما بعد حداثية رغم مسيرة

(1) Aristotle, Politics, Translated, with Introduction and Notes, by C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, Indianapolis- Cambridge, 1998, P 5.

(ISSN: 2536 - 9555)

الديمقراطية الطويلة، لكنه يرجع إلى كون الديمقراطية لم (وربما لن) تحُل دون عدوانية الإنسان الأكثر بدائية مع تحولات الحياة الإنسانية والجديد الذي يضاف إليها. فالديمقراطية قد تكون حالة من المفارقة مغلفةً بمظاهر حداثية وما بعد حداثية، غير أنَّها تنطوي على حفريات من الصراع والكراهيات الغابرة.

٩-مفارقات الديمقراطية تحيل المنطقي إلى سياسي، أي أنه لو كانت المفارقة منطقية، فقد تصبح دعوةً للتفكير بشكل مغاير للسائد، وتغدو آلية سياسية تكشف أُطر السلطة والثقافة. كأنها تستدعي المنطق الضبابي fuzzy logic متعدد الاحتمالات إلى حيز الاستعمال العمومي. أي ممارسة الاحتمالات المفتوحة والغامضة (كما في تطبيقات الذكاء الاصطناعي) أخذاً بالأوجه والمتغيرات غير المحدودة[٢].

إذن الديمقراطية بتعريف بسيط هي ممارسة المفارقات الناتجة عن تكوينها سياسياً وفكرياً وثقافياً، وهي قابلية الازدواج نتيجة صراع المعايير بمرجعياتها المراوغة بين الذاتي والموضوعي، السلطوي والمتعدد، الأحادي والمتنوع. التعريف يكشفه جيل دولوز في الدلالة السياسية لطبيعة الرغبة desire، سواء أكانت بصورة النقص والقصور أم بمعنى الفيض والتحقق والامتلاء والإبداع. لأنَّ السياسة تتأرجح بين هذين الشقين انحساراً وغمراً مع تكوين المجال العام. ولكون الديمقراطية ممارسة سياسيةً، فهي تعبير عن استعمال فائض القوة لصالح فئة من الناس (الأغلبية). وهذا هو معنى الرغبة المرتبط بالحرمان والمؤدي إلى القمع، وهو ما يمكن تجنبه من وجهة نظر دولوز باعتبار الرغبة امتلاءً وحضوراً لدى

---

(2) George Bojadziev, Maria Bojadziev, Fuzzy Logic For Business, Finance, and Mangement, (Advances in Fuzzy Systems: Applications and Theory- Volume 23), World Scientific Publishing Co. Pte. Ltd., New Jersey. London, (2nd Edition), 2007, PP186- 206.

- Francesco Masulli, Sushmita Mitra Gabriella Pasi (Editors), Applications of Fuzzy Sets Theory,(7th International Workshop on Fuzzy Logic and Applications, WILF 2007, Camogli, Italy, July 7-10, 2007 Proceedings13), Springer-Verlag Berlin Heidelberg 2007.

الآخر. ولعلَّ تلك الاشارة بمثابة الإمكانية الأخيرة في انفتاح الديمقراطية. فحوى ذلك أنَّ فلسفة دولوز تعالج الجانبين، وتكشف طبيعة المفارقات في عمق الممارسات الديمقراطية. لأنَّ هناك تسييساً للرغبة بوضعها الكامن خلال كل ديمقراطية قابلة للتأثير والاخفاق بالمثل.

تبدأ الفكرة من تكوين المفهوم concept لدى دولوز كفعالية فلسفيةٍ على صعيد انتاج المعاني والتحول التاريخي، مما يمس مفهوم الديمقراطية جوهرياً أمام فاعليها، حيث ينبني مفهومها على توالى المفارقات. وبذلك سيكون مفهوم الديمقراطية لب القضية، نظراً لكون جانبه النظري غير منفصل عن الممارسة (فضاء المفهوم). وليست تلك قضية قيد المناقشة، لكنها مستوى لكتابة تاريخ المفاهيم الديمقراطية، كمفاهيم الإنسان والنظام، السياسة، الحقيقة، التاريخ، التعددية، الثورة، رؤى الحياة والعالم والمستقبل.

ورغم أنَّ دولوز لم يُفرد نصاً خاصاً للديمقراطية وأسئلتها[٣]، إلاَّ أنَّ الدراسة ستتخذ من آرائه الفلسفية بصدد مفهومها منطلقاً لمناقشة قضايا الديمقراطية وأبرز المفارقات التي تكتنفها، وذلك عن طريق هذه الخطوط المنهجية:

- كشف طبيعة المفهوم وأهميته في الفلسفة والسياسة وعناصره المتحولة.

---

[٣] تتخذ الدراسة هنا طريقاً مختلفاً عن القول بأن دولوز لم يهتم بالديمقراطية أساساً، بل هناك من قال إن آراء دولوز في الفلسفة السياسية تعادي فكرة الديمقراطية بشكل جذري، مثل **فليب مينجه**

Phillipe Mengué, Deleuze et la question de la démocratie, L'Harmattan, Paris 200,(introduction).

وبصرف النظر عن من أيدَّ هذا الرأي أو انتقده، لكن يظل الفيلسوف (أي فيلسوف) قابلاً للقراءة بوجوه مختلفة تماماً. واتصور أن ما أقدمه خلال الصفحات التالية ينتمي إلى تلك الامكانية معتمداً على النصوص الأساسية لجيل دولوز ومهتماً بكيفية تطبيق أفكاره ورؤيتها من الداخل عوضاً عن الالتفاف حولها وكذلك حاولت إدخالها في حوار فلسفي حول المفارقة والسياسة وطرائق التفكير في ماهية السياسي نفسه. وهو الأمر الذي يعطي وجوهاً طريفة لفهم السياسة وإعادة تجديد الرؤى حول الديمقراطية بشكل غير مباشر.

(ISSN: 2536 - 9555)

- ستكون أفكاره السياسية ومعنى الحدث وسيطاً لإثارة قضايا الديمقراطية وجدل عناصرها وتاريخها.
- والنقطتان السابقتان تندمجان مع دلالة المفارقة كوسيطٍ (وهي دلالة تحقق مغزى المفهوم الدولوزي وتتيح فرصة لمناقشة التناقضات النظرية والعملية في فضاء الديمقراطية).
- ارتباط الرغبة بالمفارقة يظهر جدل المفاهيم وصراعها. ولا سيما أنَّ الرغبة تعبر عن عوامل الكبح والانطلاق، الاستهلاك والانتاج، الانغلاق والانفتاح دون حدودٍ. ستمثل المفارقة رغبة لها أكثر من جانب، تمثل تحولات مفهوم الديمقراطية بمجمل تنوعه وثرائه المفتوحين على الزمن.

المفهوم والمفارقة

لا يخلو مفهوم الديمقراطية كنظام سياسي من تشوهات بنائيةٍ. وهي تشوهات غير بعيدة عن مضمونها، بل من جنس ما يحمله المفهوم من وعودٍ لحياتنا السياسية. لكون دلالته المبدئية تتبلور في حكم الشعب لصالح الشعب وبإمكانيات الشعب نفسه، غير أن الواقع معقد بما لا يتيح ذلك. فالمعنى قد يرتبط بشيء حقيقي، لكنه لا يؤدي إلى كامل المفهوم من جهةٍ وقد يشير إلى جذور ما يحدث من جهة أخرى بحسب تعريف المفارقة[٤]. أي أنّ المفهوم قد يؤشر ويخفي، قد يناقض ويثبت. من هنا فإنَّ المفارقات برأي دولوز تعد مرض أو شغف الفلسفة Paradox is the pathos or the passion of philosophy … وهي بذلك تكشف أشكال العقائد المغلقة والأرثوذكسيات forms of orthodoxy[٥]. وما يجري على الفكر يجري على مفهوم الديمقراطية وتاريخها.

---

[٤] تسير كلمة paradox إلى مقطعين: beyond (para) أي ما وراء وdoxa وهي الاعتقاد أو الرأي (belief)، والمفارقة هي مجموعة من التناقضات التي تتجاوز الآراء والأفكار الاعتيادية وتعبر عن الازدواج والغموض في المعاني.

Nicholas Rescher, Paradoxes: Their Roots, Range, and Resolution, Open Court, Chicago and La Salle, Illinois, 2001, PP 3- 4.

[5] Gilles Deleuze, Difference and Repetition, Translated by Paul Patton, The Athlone Press, Continuum, London and New York, 1994.P 286.

الدليل أنَّ مفهوم الديمقراطية ذاته قد تطوّر من عصرٍ لآخر، وظل مرهوناً بقدرة المجتمعات على استيعابه وصُولاً إلى الديمقراطية التمثيلية في عشرينات وثلاثينيات القرن التاسع عشر، حيث تمّ تمديد الامتياز لممارسة الانتخاب والتمثيل من دولة إلى أخرى. ففي فرنسا مثلاً، كانت هناك قفزة مفاجئة في حق الاقتراع للذكور البالغين في عام١٨٤٨، ولكن لم يتم تأسيس الحكومة البرلمانية بشكل آمن حتى عام١٨٧١. وفي بريطانيا، كانت الحكومة البرلمانية آمنةً من عام١٦٨٨ وما بعده، لكن الامتياز لم يمتد إلى غالبية المواطنين البريطانيين الذكور حتى عام ١٨٦٧. لذا فإن الديمقراطية هي ظاهرة جديدة إلى حد ما في تاريخ العالم على الرغم من قدمها وانتشارها الواسع(٦). إذ ترتبط المفاهيم السياسية بأفكارنا وتجاربنا في الواقع، وهو ما يجعلها لصيقة الصلة باللغة التي نتداولها، لدرجة أننا نظن بواسطة المفاهيم امتلاك العالم والحقائق، وبالتالي لا طريق خارج المفاهيم outside the concepts يأخذنا صوب العالم الذي نفكر فيه(٧).

السؤال الآن: ما إذا كان المفهوم السياسي ينطوي على معنى مركزي أو مجموعة معانٍ متميزة several distinguishable meanings؟(٨). تتجه إجابة دولوز إلى المفهوم باعتباره تاريخاً من التحولات لا نوعاً من التجريد. يقول: "من الواضح أنَّ كل مفهوم له تاريخ ما..."(٩)، فهو يعتبر المفاهيم زمنية الطابع، فهناك التغير الذي يحرك دلالتها، هناك التباين، هناك التكرار المختلف والزيف

(6) Anthony H. Birch, The Concepts and Theories of Modern democracy, Routledge, London, New York, (Third Edition) 2007, P109.
(7) Peter Winch, The Idea of a Social Science and its Relation to Philosophy, Routledge & Kegan Paul, London, (Second Edition)1958, P 15.
(8) Anthony H. Birch, The Concepts and Theories of Modern democracy, P 7.
(9) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy? Translated by Hugh Tomlinson and Graham Burchell, European Perspectives: A Series in Social Thought and Cultural Criticism Lawrence D. Kritzman (Editor), Columbia University Press New York, 1 994, P17.

(ISSN: 2536 - 9555)

وإعادة التمثيل ارتباطاً بالأفكار[١٠]. والتاريخ لا يسقط على الديمقراطية من أعلى، هي ذاتها بنية زمنية قابلة التحول من الداخل، فلم ولن تصل كممارسةٍ إلى نقطة اكتمال محتمل، وإلّا لأضحت بذرة منتهية الإمكانية. بلغة أرسطو ليست الديمقراطية "وجوداً بالفعل"، لكنها دوماً "وجود بالقوة"، القوة المتدفقة ضد أي شكلٍ تتعين فيه الأفعال.

من وجهة نظر دولوز، "لا توجد مفاهيم بسيطة. كل مفهوم له مكوناته المميزة، بل ويتم تحديده عن طريقها. لذلك سيكون لديه مزيج، ارتباط بينها. إنها تعددية multiplicity على نحوٍ ما، بالرغم من أنَّ ليس كل تعددية مفاهيمية conceptual.لا يوجد أي مفهومٍ بمكون واحد فقط. حتى المفهوم الأول الذي" تبدأ "الفلسفة به، هو في الحقيقة له عدة مكونات، لأنَّه ليس واضحاً أن الفلسفة يجب أن تمتلك بدايةً معينةً beginning، وإذا حددت بداية واحدة، فلا بد من ربطها بوجهة نظر معينة أو أرضية ما (أي المبرر). ينطبق ذلك الحال ليس فقط على ديكارت وهيجل، بل لم يبدأ فيورباخ بالمفهوم نفسه، هم ليس لديهم مفهوم البداية نفسه"[١١].

معنى ذلك أنَّ مفهوم الديمقراطية مركب complex. حتى أنَّ الازدواج في التركيب والتعقيد والتشابك أمرٌ وارد لدرجة الاختلاف. إذ يتألف المفهوم من مستويات دلالية، **أولاً:** المبدأ الذي تعبر عنه (حكم الشعب باسم الشعب). **ثانياً:** الغاية الهادف إليها(إقامة دولة المواطنة والمشاركة والتعددية السياسية وتداول السلطة). **ثالثاً:** الآليات التمثيلية أو التداولية التي تحقق المبادئ ارتباطاً بالغايات. **رابعاً:** الأطر المعرفية والثقافية التي تتولد فيها مبادئ الديمقراطية، فهي مؤثرة وتوجد بطرائق تستند إليها. **خامساً:** المجتمع والدولة والحياة والتاريخ، فكل مفهوم للديمقراطية يحمل بشكل ما معاني هذه المقولات. **سادساً:** الوسائط المفهومية

(10) James Williams, Gilles Deleuze's Difference and Repetition: A Critical Introduction and Guide, Edinburgh University Press Ltd, 2005, P39.
(11) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy?, P15.

مثل: الإنسان، الحرية، الإرادة العامة، المجال العام، السلطة، وهي وسائط تكوينية تُفرِّع الديمقراطية إلى مضامين وأبعاد مهمةٍ. **سابعاً:** ثمة مفاهيم بينية inter– concepts عن الاحتمال والتنافس والاختلاف والتنوع توجد بوجود الممارسات السياسية. **ثامناً:** مفاهيم ميتافيزيقية تتعلق برؤى الحياة والعالم والحقائق والموت والايمان والثقة ترد ضمنياً. **تاسعاً:** تصورات نفسية وخيالية خلف الأفكار داخل الديمقراطية، فالخيال يرسم صور الزمن والمكان وصور الحياة المنتظرة، ويحول العالم إلى رموز وعلامات. **عاشراً:** تكوين الآثار التاريخية للديمقراطية، وهي ظلال تجسد ما هو مضمر وممكن قراءته على المدى البعيد.

بالنتيجة سيكون مفهوم الديمقراطية في إطارها ثلاثي الأبعاد والمضامين (الإنسان– المجتمع– التاريخ)، ذلك بضرورة التساؤل حول جذوره العميقة وتحولاته والتناقضات التي يفرزها. وكل بعد ينطوي على أبعاد أخرى مرتبطة أو منفصلة. وليس شرطاً أنْ يكون الازدواج جارياً على نحو ثنائي كما يشير معناه، إنما يتكاثر كالفطريات والكائنات الدقيقة وينقسم دون نهاية. **يقول دولوز:** "كل مفهوم له محيط غير منتظم irregular contour تحدده مجموع عناصره، حيث وجدنا من أفلاطون إلى برجسون فكرة المفهوم مسألة تمفصل articulation، مسألة تقطيع cutting ومسألة تقاطع cross–cutting... إنَّ المفهوم يشكل كلاً a whole يربط عناصره المختلفة بشكل واهٍ، لكنه بمثابة الكل المتشظي (المتشذر) fragmentary whole"[١٢].

سيكون مفهوم الديمقراطية بما هو كذلك ضرْباً من هذه الظاهرة الفكرية والثقافية المركبة. وربما ستكون الديمقراطية أدق مثالاً على التنوع الكامن في أي مفهوم. لأن البديل لذلك سيأتي في شكل انحراف دلاليSemantic deviation، يُلقِي بظلاله على المفهوم ذاته. والجديد أنَّه سيدس بذرة الفوضى داخله ما لم يفسح المجال لمعرفة التكوينات الهامشية التي تغذيه وتكمن في شراينه الفلسفية والسياسية. **يقول دولوز:** "كل مفهوم على الأقل مزدوج أو ثلاثي الأبعاد، فلا يوجد

(12)- Ibid, P16.

(ISSN: 2536 - 9555)

هناك أيُّ مفهوم يمتلك كل مكوناته، لأنَّ هذا سيشكل فوضى ستكون خالصة pure وبسيطة "[١٣].

تفترض الديمقراطية الفوضى حين يسيطر عليها معنى بعينه، عندئذ ستنقلب إلى استبداد وقهر وازدواج يستقطب السلطة لصالح المعنى كموضوع للهيمنة، وستولد السياسة مركزية مهيمنة مما يسبب إرباكاً وتشويشاً بنائياً لدى التداول في المجال العام. ناهيك عن تداعي المفارقات بصدد الممارسة، لأنَّ معناها سيكون واحداً انطلاقاً من الهيمنة السياسية، وستكون ديمقراطية شكلية ليست أكثر، بينما تراثها الفلسفي والسياسي يحمل ثراءً كبيراً. أي لو كانت تلبي جانباً أو آخر من جوانبها، فلن تستطيع تحقيق الجوانب الأخرى المتضمنة فيها.

وبذلك، فالمفهوم هو سلسلةٌ من المفارقات المتداخلة، وهذا التكوين لا مفر منه، لدرجة أن أكبر أخطاء بعض الفلسفات السياسية يتمثل في توحيد (ربط) معاني (مفاهيم) الديمقراطية في معنى واحد، لأنَّ الواقع الذي تجري خلاله السياسة واقع متعدد ولا يحتمل ربطة بأية مركزية. **ففي فلسفة دولوز**: "ترتبط جميع المفاهيم بمشكلاتٍ ما، وهي المشكلات التي بدونها لن يكون لها أي معنى والتي لا يمكن عزلها أو فهمها إلاَّ عند ظهور حلها. نحن نتعامل هنا مع مشكلة تتعلق بتعددية plurality الموضوعات وعلاقتها وحضورها المتبادل reciprocal presentation. بالطبع، كل شيء يتغير إذا اعتقدنا أننا اكتشفنا مشكلةً أخرى"[١٤].

كأنَّ دولوز يقرر شيئاً مهماً: أنَّ مفاهيم الديمقراطية غير قابلةٍ للحسم، ويصعُب إغلاقها على مضامين ثابتة. والسبب لا يعود هذه المرة إلى أسباب نظريةٍ، بل لكون موضوعها ليس مفرداً كما قد نظن، لكنه متنوع في ذاته، كما أنَّ الديمقراطية إشكالية تحوي في داخلها مشكلات متعددة. وأن الجدل الحاصل على صعيد الديمقراطية هو بين صورتها المطروحة وبين إمكانيات أخرى متنوعة بحجم المجتمعات وتراثها وتطورها التاريخي.

(13) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy?, P15.
(14) Ibid, P 16.

وقد تحدث أزمة مفاهيم نتيجة هذه المفارقة أو تلك، لأنَّ الديمقراطية يتم تحديد دلالتها إيديولوجيا، أي تتحول من ممارسة قابلة للتطور إلى فكرة خارج إطار التاريخ كما تطرح أحيانا في الأنظمة السياسية. فمن الأهمية بمكان طرح بدائل وإجراءات وتغيرات في أنماط الديمقراطية بصيغ جديدة وإلّا فقد تصبح عرضة للجمود والتحول إلى نظام شمولي. فالأنظمة السياسة قد تحدد مفاهيم الديمقراطية بناء على الآليات والثقافة الجارية، غير أن مفارقات الديمقراطية قد تغير النظام برمته. يعتقد جيل دولوز.. أنَّ نظاماً سياسياً قد يتغير كما تتغير طبيعة المفاهيم والمشاكل التي يفترض أنْ يستجيب لها. فلنضع جانباً مسألة الاختلاف بين المشكلات العلمية والفلسفية وغيرهما كالسياسة والاجتماع. ومع ذلك، حتى في الفلسفة، يتم إنشاء المفاهيم فقط كوظيفة للمشكلات function of problems التي يعتقد أنَّها مفهومة بشكل سيءٍ أو مطروحة بشكل سيء[١٥].

أي أنَّ مشكلات الديمقراطية تُغير من المفاهيم التي توضع لها، وهذا معناه أنَّ الأيديولوجيات السياسية تبقى قيد النقد والاختبار، لأن المفارقة تتكشف على نحو عملي في نهاية المطاف، ولن تكون الأفكار النظرية بمنأى عن رحاها، وهذه الهوة يصعب ردمها بالكلية، فالديمقراطية تسير على سطح قابل للانفجار بأي وقت من الأوقات مثل السير وسط حقل الألغام الذي تزرعه هي بأسسها ومنطلقاتها.

في تلك الخطوة تعد المفاهيم نوعاً من المفارقات، لأنَّها تترك مساحتها النظرية منطقاً وفكراً داخل مساحةٍ أكثر مع حالة الديمقراطية على المستوى السياسي، وتبدو الحالة case حدثاً قابلاً للقراءة بأوجه كثيرة. الماضي والمستقبل والحاضر عبارة عن خيوط متباينة. وإذا كنا نقول بوجود تاريخ للمفاهيم، فلأنَّ التاريخ متعرج zigzags بما لا يمكن حصره مترسباً داخل المعاني، وذلك أن المفهوم يمر، إذا لزم الأمر، من خلال مشاكل أخرى أو ينصرف إلى مستويات مختلفة. في أي مفهوم، عادة ما تكون هناك أجزاء أو مكونات تأتي من مفاهيم غيره دائماً، والتي تتوافق مع مشاكل أخرى وتفترض مستويات أخرى planes. هذا أمر لا مفر منه،

(15) Ibid, P 16.

(ISSN: 2536 - 9555)

لأنَّ كلَّ مفهوم ينفذ عملية اقتطاع جديدة cutting–out، ويأخذ معالمَ جديدةً، ويجب إعادة تنشيطه reactivated أو إعادة تحديده recut"[١٦].

قد تكون المفارقات آتيةً من انتقال (ترحال) المعاني من مستوى مفهومي إلى مستوى مفهومي آخر داخل الحالة السياسية، لأنَّ الديمقراطية كما نوهت في جوانب معانيها تتوقف على مفاهيم وسيطة وتأسيسية وكذلك هامشية في الفضاء العام، وليس هذا فقط بل تتبادل التحولات من مرحلة لسواها. فالديمقراطيات التمثيلية representative لم تكن مطروقة بخلاف الديمقراطية المباشرة direct democracy إلاَّ مع تعقد الحياة الإنسانية وازدياد نسبة الممارسات الشعبية، فجاء مفهوم الاستفتاء referendum والاقتراع ballotوالترشح والانتخاب والتمثيل على صعيد البرلمانات والحكومات والسلطة وأنظمة الحكم. ومن هنا تعد الجوانب التمثيلية تعد مفاهيم جديدة يعاد النظر فيها حول التنوع الديمقراطي والتواجد في اتخاذ القرارات وخطط وبرامج الأنظمة الحاكمة تجاه الشعوب والمشاركة السياسية. فظهرت ممارسات ديمقراطية مثل: الاستفتاء على الدساتير constitutional referendum والاستفتاء على عريضةpetition referendum لعرض المطالب أو أبداء الاعتراضات (شعبية popularأو احتجاجية protest أو استفتاء مباشر direct referendum) والاستفتاء إلزامي mandatory referendum بخصوص التشريعات والتعديلات الأساسية في القوانين وكذلك تغيير الدساتير، وهناك استفتاء استشاريadvisory referendum مثل معرفة آراء المصوتين حول بعض القضايا والممارسات... أقول جميع هذه الجوانب الديمقراطية ظهرت مع تحولات مفاهيم الديمقراطية من مجال لآخر ومن فضاءٍ إلى سواه[١٧].

وهذه المفاهيم والتصورات الفرعية مشتقةٌ من حالة الديمقراطية، ولكنها معبرة عن تغير وتعقد النظر إلى الديمقراطية المباشرة، حتى تم اعتبارها (أي الممارسة

(16) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy?, p18.
(17) John Haskell. Direct Democracy or Representative Government: dispelling the populist myth, Westview Press, Colorado- Oxford, 2001, PP 48- 49.

المباشرة) محصورة داخل الديمقراطية على نحو عام، أي تُطلق على الممارسة أكثر من الأساس والتكوين. حتى أصبح مصطلح الديمقراطية المباشرة (القديم) يحمل دلالة محددة لمشاركة المواطنين في سن القوانين law making. ويمكن أن يأخذ ذلك شكل المشاركة النشطة active involvementفي وضع جدول الأعمال وصنع السياسات policy-making، على غرار اجتماع دار البلدية التقليدي، أو ببساطة مثل المشاركة في اتخاذ القرارات التشريعية أو التغييرات الدستورية عن طريق المبادرات والاستفتاءات. باختصار، الديمقراطية المباشرة هي عندما يشارك المواطنون بشكل مباشر في إقرار السياسات أو صياغتها، عن طريق التصويت voting أو عن طريق المداولات والمناقشات deliberation وجهاً لوجه أو إلكترونياً electronically[١٨].

إنَّ التغيرات (في بنية الديمقراطية) هي سياسات لاستيعاب الرغبات تجاه الحياة وإدارة الشؤون العامة التي تصب فيها. وما تجري إلاَّ بالمفارقة بين الخاص والعام، لأنَّ السياسة ليست تداولاً لأفعال عمومية تتسم بطابع العقلانية والبراكسيس praxis، لكنها نوع من إدارة التناقضات لدى المواطنين (الأفراد) داخل الدولة. فإذا كانت الأخيرةُ ليست شخصيةً عينيةً، فالمفارقة هى التى تكشف ذلك مقارنةً بأمور الأفراد. الديمقراطية تعبر عن هذه المساحة على أنقاض الرغبات والغرائز النوعية، ومع ذلك لا تقضي عليها تماماً.

ولهذا إذا كانت مفاهيم الديمقراطية (كعنقود من المفاهيم) تمثل صيغاً لرغبات قلّت أو كثُرت، فهى تحدد مسارَ الرغبات لصالح المجموع الإنسانى. ولئن كانت ثمة رغبةٌ فى الحكم والتملُّك، فالديمقراطية تقول: يجب على صاحب الرغبة أنْ يتعلق برغبات الآخرين ليدير ما هو متاح لصالحهم، وكأنه يتعلق برغباته الذاتية لقاء رغبات الآخرين. والرغبة نوع من التخارج الموضوعى بين الذوات المشتركة.

المفارقة والرغبة

لم ينظر دولوز إلى الرغبة إلاَّ كبنيةٍ تحتيةٍ تؤسس للإنتاج والإبداع والتكوينات الجديدة، ونظر الى اللاوعي باعتباره مسرحاً لهذا الإنتاجِ الإنساني. وتلتقي

(18) Ibid, P 50. See also: David Altman, Citizenship and Contemporary Direct Democracy, Cambridge University Press, 2019, PP 84-106.

(ISSN: 2536 - 9555)

الاثنتان (المفارقة والرغبة) في الديمقراطية من جهة كون مفاهيمها سائلة liquid بلغة زيجمونت باومان، لأنَّها جزءٌ من حياة الإنسان المعبرةِ عن الهويات الفائقة عن الوصف ineffable، وتندرج على مسارات غير ملموسةuntouchables وغير مفكّر فيها unthinkables من جهة الانتماء إلى الجماعة المتخيلة التي يودُ الإنسان العيش خلالها، فالإنسان يمارس الديمقراطية على نحو حرٍ تطلعاً لحياة أفضل(١٩).

ربط زيجمونت بين الديمقراطية وإدارة المخاوف management of fears وتحقيق الأهداف والشعور بالأمان في المجتمعات الإنسانية. وهي عملية تاريخية طويلة الأمد لا تنفصل عن محاولات الانسان للسيطرة على العالم من حوله. من ثمَّ كانت المجتمعات هي الحاضنة لتنوع المخاوف من الإيذاء والشرور والمخاطر التي يجدها البشر فيما بينهم، وفي هذا تمثل الديمقراطية سياسات لإدارة المخاوف بشكل غير مخيف إنْ جاز التعبير. حتى أنّ مفهوم الدولة الحديثة قد وُجد بالأساس كي تأخذ على عاتقها إدارة هذه المخاوف(٢٠).

وعلى المستوى الآخر من تاريخ السياسة.. "يمكننا القول إنّ الكفاح لأجل الحقوق الشخصية كان مدفوعاً برغبة أولئك الذين كانوا محظوظين بالفعل أو يأملون بالفوز في المرة القادمة للحفاظ على خيرات ثرواتهم دون الحاجة إلى تكلفة باهظة ومرهقة، وأسوأ من ذلك كله تكلفة غير موثوقة وإلى الأبد، أي جهد غير حاسم inconclusive effort لإشراك أنفسهم في نعمة صاحب السيادة sovereign's grace والاحتفاظ بمصالح السيادة"(٢١). إن الحقوق والكفاح من أجلها قد اسهما في بلورة الحقوق السياسية للمواطنين إجمالاً، لأنَّ الديموقراطية نتيجة المخاوف والرغبات قد تبقى شأنا نخبوياً للحفاظ على الامتيازات الفئوية، بينما كان هناك طريق آخر وهو إحداث ثورة "revolutionizing" في

(19) Zygmunt Bauman, Liquid Times: Living in an Age of uncertainty, Polity Press, USA, 2007, P45.
(20) Ibid, P 58.
(21) Ibid, P 61.

المجتمعات قامت على أساسها الديموقراطية بضمان الحقوق– مثل الثراء وتوافر الثقافة– لكافة الناس(٢٢).

الرغبة هي النسغ الجوهري الذي يتخلل الانشطة الانسانية، إنها التجلي الأبرز للتحولات المحدقة بكل الأفكار الفلسفية، وهي كذلك ما تجعل لها سيرورة على مستوى الفكر. **يؤكد دولوز:** "إنَّ للمفهوم سيرورةً becoming تتضمن علاقته بالمفاهيم الواقعة على المستوى ذاته. هنا تترابط المفاهيم مع بعضها البعض، وتدعم ذواتها، ويتم تنسيق معالمها، وتوضح مشاكل كل منها للآخر، وتنتمي إلى نفس الفلسفة، حتى لو كان لها تاريخ مختلف. وفي الواقع، مع وجود عدد محدود من المكونات، سوف يتفرع كلُّ مفهوم نحو مفاهيم أخرى تتكون بشكل مختلف ولكنها تشكل مناطق أخرى من المستوى ذاته. وبواسطة الإجابة على المشكلات التي يمكن ربطها ببعضها البعض، والمشاركة في إبداع مشترك co-creation لها، لا يتطلب المفهوم مشكلةً جديدة يعيد خلالها صياغة المفاهيم السابقة أو يستبدلها فحسب، بل يتطلب أيضاً تقاطعاً من المشكلات حيث يتحد مع المفاهيم الأخرى المتواجدة معاً coexisting concepts"(٢٣).

أساس المفاهيم هو قوى رغبوية تتشابك مع رغبات متقاطعة، وهذه القوى هى التي تكون السياسة والاقتصاد والاجتماع عموماً، فالديمقراطية بمثابة الفضاء المفهومي conceptual space الذي يجسد دينامية الرغبات. وباعتبار الأخيرة إنتاجاً، فلن تمتثل لاتساق منطقي صارم، لكن الرغبات تبث الحياة الحرة والمتداخلة مع سواها من مفاهيم. وذلك هو السبب وراء أنَّ المفهوم يتحول من مجرد صورةٍ للمعنى إلى استجابات قوية للمشكلات. جميع مفاهيم الديمقراطية تسير بهذا الزخم الدلالى فى أبنية السياسة من الأدنى إلى الأعلى. ونصوص دولوز بصدد المفاهيم مثل (ما هي الفلسفة؟) تمثل ضرباً تأويليّاً لمشكلة الرغبة كطاقة قصوى تنتج التصورات والأفكار. ولا سيما بالإمكان تأويل الرغبة ضمن

(22) Zygmunt Bauman, Liquid Times: Living in an Age of uncertainty, P64.
(23) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy?, p18.

(ISSN: 2536 - 9555)

تحولاتها وغموضها بقدر ما تأخذ مواقعها في اقتصاد اللاوعي[٢٤] economy of unconscious.

والحاصل أنَّ المفارقات إذا كانت ذات طابع منطقى، فالرغبة تجعلها ذات بُعد سياسي. أي سياسات الرغبة أو الرغبة سياسياً، ولئن كانت المفارقة فى المنطق نوعاً من التناقض الذي يبرز مغالطات غير قابلة للحل، فالمفارقات في السياسة تصبح إمكانية جديدة من جنس الرغبة في الاختلاف وممارسة التعددية. وربما هذا هو التحول الدولوزي الذي يرصد ما هو سياسي داخل ما هو فلسفي ومجرد رغم أنَّ الظاهر يقول عكس ذلك. كل مفهوم في دائرة الديمقراطية ضرب من تسييس الرغبة، لأنَّها توجد بصيغة التغيير، التراكم لفرص مختلفة، الامكانيات الحاملة لأزمنة أخرى.

فلسفة دولوز محاولة مبتكرة لا تمل من نقد تراث التحليل النفسي على أسس فلسفية سياسية. والمحاولة أسست لقراءة ترتبط بمفاهيم الرغبة (المباشرة وغير المباشرة) باعتبارها آلة إنتاجٍ وأبنية تحتية لجميع الممارسات، كاشفة لطبيعة التحليل النفسي ذاته وعلاقته بالاقتصاد السياسيّ والدور الثوري للفلسفة بوصفها صرباً من ضروب الأفعال السياسية فضلاً عن كونها إبداعاً للمفاهيم. كما أنَّ فلسفة دولوز فيما يخص الرغبة والنظرية السياسية ترتبط بتقويضه لصور الفكر المعروفة في التقاليد الغربية وتأسيسه لاتجاه مغاير يتمثل في "فلسفة الاختلاف"، الدائرة حول أنماط الاختلاف فردياً وجمعياً، كونياً وحياتياً، وكذلك طبيعته وقضاياه الفكرية وآثارها في الفنون واللغة والمعرفة والحقيقة[٢٥].

من هذا الباب تمثل الرغبة اختلافاً وتدفقاً بالنسبة لدولوز، ويمتد جذور مفهومها لديه إلى نيتشه وسبينوزا Spinoza وجورج باتاي Bataille وكارل ماركس وفرويد وجاك لاكان سواء نقداً أم اتفاقاً، وبخاصة أن الرغبات تحمل

(24) Jacques Lacan; Jacques- Alain Miller; James Hulbert, Desire and the Interpretation of Desire in Hamlet, Yale French Studies, Number. 55/56, Literature and Psychoanalysis. The Question of Reading: Otherwise. (Yale University Press.1977), pp. 11-52.
(25) Gilles Deleuze, Difference and Repetition, Translated by Paul Patton, PP 28- 69.

الوجهين: الكبح والمنح، الحث والتوقف، التراجع والابتكار، الارتكاس والاندفاع كما هي تقليدياً، أي أن الرغبات تجسد الثواب والعقاب reward and punishment، الانتاج والحصر، التجاوز والتخطي، المنع والقمع في الوقت عينه(٢٦).

يحدد كانط الرغبة باعتبارها الملكة faculty التي تَكُون تمثيلاتها representations سبباً وراء فعلية actuality موضوعات هذه التمثيلات، ذلك أن الغرض purposiveness من وراء الأشياء يحقق تمثيلها في الإدراك والتصور... ومن ثمَّ فإننا نطبق فقط مصطلح "هادف" purposive على الشيء، نظرًا لأن تمثيله يقترن فورًا بالشعور بالمتعة pleasure: وهذا التمثيل بحد ذاته هو تمثيل جمالي للغرض. عندئذ فالسؤال الوحيد هو ما إذا كان مثل هذا التمثيل للغرض موجوداً أم لا من الأساس(٢٧).

بينما أكد هيجل في كتابه "فينومينولوجيا الروح" بأنَّ الرغبة تقع بين الأنا بالآخر في شكلها البدائي وكذلك في شكلها الأكثر تطوراً خلال المجتمعات، وقد تأخذ شكل الصراع بين المعتقدات والمطالب المختلفة بسبب رغبات الآخرين، لأن كل ما يعنينى يعتمد على ما يعنى الآخرين قبولا ورفضاً. والرغبة تطلب اشباعاً، ويجب فهم الرغبة الانسانية من حيث هى حالة من الاكتمال، الاكتفاء الذاتى والسكينة. كما أنَّ الرغبة البشرية تهدف إلى الاتحاد بموضوعها. وبالتالي فإن مسار الرغبة يتحدد خلال محاولة الهيمنة على العالم الخارجي، ولكن دوماً يعد بلوغ الرغبة حالة الاشباع أمراً مستحيلاً، ونتيجة تكرار المحاولات الراغبة للاكتفاء الذاتى دون جدوى، ينشأ الوعى بحسب رأي هيجل باعتباره رغبات تبدأ فى إدراكِ ذاتها على الفور(٢٨).

---

(26) Timothy Schroeder, Three Faces of Desire, Oxford University Press, Inc, Oxford- New York, 2004, P 83.

(27) Immanuel Kant, The Critique of Judgment, Translated by James Creed Meredith, Revised, Edited, and Introduced by Nicolas Walker, Oxford University Press, Oxford 2007,P 24.

(28) G. W. F. Hegel, Hegel: The Phenomenology of Spirit, Translated With Introduction and Commentary by Michael Inwood, Oxford University Press, 2018, P433.

(ISSN: 2536 - 9555)

والرغبة عند فرويد تظل حبيسةَ اللاوعي، لا تخرجُ إلاَّ استثناءً عبر الأخطاء الطارئة وزلات اللسان والمواقف والنكات الساخرة، كما أنَّها مستهلكة في العداوة والصراعات التي تطغى– برأي فرويد– على حياة الإنسان. وتمشياً مع ذلك يشكلُ الإبداع الفني والكتابي مسرحاً للرغبات الدفينة، إذ لا تظهر بوضوحٍ من تلقاء نفسها ولا تتلبس بموضوعها على صعيد الوعي، إنما تعود للخلف قليلاً حيث الخفاء والتواري لتصبح فاعلةً وذات تأثير على صعيد التاريخ(٢٩). والتناقض في الرغبات أمر واضح، فقد بدا أنَّ ما يكتشفه التحليل النفسي ضمن الأعراض العصبية neurotic symptom هو خليط متناقض ومنطوٍ على المفارقات paradoxical mixture من اللذة اللاواعية unconscious pleasure والألم الواعي conscious pain(٣٠).

أراد دولوز تحرير الرغبة الكامنة كأصل داخل الأنشطة الإنسانية ضمن تفاصيل الحياة، وبخاصة إطلاقها سياسياً، حيث ستكون المفارقات لصالح هذا التدفق. وهو ما يجعل الديمقراطية في حالة تحول وتغير. هكذا ينتقد كتاب "ضد– أوديب" Anti-Oedipus المسار البائس للرغبة الممتدة من افلاطون مروراً بكانط وهيجل وصولاً الى فرويد ثم اتجاهات التحليل النفسيّ التي صورت الرغبة برأي دولوز، على أنها شيءٌ آخر غير الحياة، أي بوصفها شيئاً يمكن تأمّله فقط من حيث كونها" صوراً"، أو "تمثيلات representations"(٣١). ولعلَّ مؤلِفي "ضد أوديب" يرفضان أول ما يرفضان هذه النزعة التي تقفل الذات على نفسها، أو أن تكون رغبتها حاملة لنفس السمات الواحدة تجاه موضوعاتها أو تكون هي عينها

(29) Patricia Sieber, Theaters of desire: Authors, Readers, and the Rreproduction of Early Chinese Song-Drama, 1300– 2000, Palgrave Macmillan, USA, 2003, PP163- 178.
(30) Richard Boothby, Death and desire: Psychoanalytic Theory in Lacan's Return to Freud, Routledge, Chapman and Hall, Inc., New York, 1991, P73.
(31) Colebrook Claire, Understanding Deleuze, Allen & Unwin, Australia, 2002, p 98.

الموجُود الموحد كما في كل فلسفةٍ ديكارتية وفينومينولوجيةٍ تعيش كيانها ووعيها المتفردين(٣٢).

لم يكتف دولوز بهذا، بل حلل الرغبةَ ضمن كلِ الأشياء والآلات والكائنات، هناك آلات راغبة وكائنات راغبة وعوالم راغبة، وتمثل الرغبة مصدر التوحد بنسغ الحياة في العالم، حيث لا يعيش الإنسان الطبيعة كطبيعة محض، بل كعملية إنتاج. لا يوجد شيء مثل الكائن أو الطبيعة الآن، فقط عملية تنتج أحدهما داخل الآخر وتجمع الآلات معاً. آلات منتجة، آلات راغبة في كل مكان، آلات مصابة بالشيزوفرينيا schizophrenic machines، كل حياة الأنواع هكذا: لم يعد للذات واللاذات non–self، في الخارج والداخل، أي معنى على الإطلاق(٣٣).

وبإعادة اكتشاف الرغبة في مضمار السياسة، يكون دولوز– من وجهة نظر ميشل فوكو– قد نقل موضوعاتها وآفاقها إلى مناطق جديدة وواصل القتال على نطاق أوسع من الرغبة عند فرويد (اللاوعي). ويبدو ضد أوديب كعمل في الفن الأيروتيكي erotic art الكاشف عن علاقة الرغبات بالواقع، وتدفقاتها سياسياً ومادياً على خلفية الآليات الرأسمالية، كيف تدخل الرغبة في الفكر، في العمل، في الخطاب السياسي؟ كيف تدخل الرغبة في الأنظمة السياسية وكيف يتم قلب الأنظمة المستقرة؟(٣٤).

---

(32) Paul Bains, Subjectless Subjectivities, in: A Shock to Though, Expression after Deleuze and Guattari, (Edited by Brian Massumi), Taylor & Francis e-Library, 2005, P 203.

(33) Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, Preface by Michel Foucault, Translated from the French by Robert Hurley, Mark Seem, and Helen R. Lane, the University of Minnesota Press, Minneapolis, 1983, P9.

(34) Michel Foucault, Preface, In: Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, Translated from the French by Robert Hurley, Mark Seem, and Helen R. Lane, the University of Minnesota Press, Minneapolis, 1983, P xli.

(ISSN: 2536 - 9555)

يرى فوكو أنَّ طرح " ضد أوديب" يعادي بشدةٍ ثلاثةَ أنماطٍ من الأعداء :

١-زهاد السياسة political ascetics والمناضلين الحزانى sad militants وارهابيى النظرية terrorists of theory، هؤلاء الذين يبقون على السياسة والخطاب الساسي خالصين نقيين من الشوائب.

٢-تقنيو الرغبة الفقراء poor technicians of desire، وهم الذين يُخضعون تعددية multiplicity الرغبة للقانون المزدوج الخاص بالبنية والحاجة (النقص) فقط.

٣-وأخيراً محاربة العدو الرئيس، الخصم الاستراتيجي... أَلاَ وهو الفاشية fascism، وليست الفاشية التاريخية بمدلولها عند هتلر وموسوليني Hitler and Mussolini، حيث استعملت الجماهير كحشود وإلهاب حماسها. والفاشية المقصودة هي النزعات الواقعة في نظرنا وعقولنا جميعاً وفي سلوكنا اليومي. فاشية تجعلنا نحب السلطة والقوة ونرغب في الشيء الذي يهيمن علينا ويستغلنا(٣٥).

وهؤلاء باختلاف أنماطهم يفرّخون بضاعتهم استغلالاً لكون الديمقراطية لا تلفظ مخلفاتهم السياسية، بل نتيجة الرغبات السارية في جنبات الحياة العامة، ستكون الممارسة السياسية مع تحليل الرغبة إفرازاً لهذه المعاني المتناقضة. وليس ذلك الوضع نوعاً من المرحلة الزمنية التي سرعان ما تنتهي، إنما سيأخذ أشكالاً جديدة كلما قطعت الديموقراطية أشواطاً. وستبقى مخاطر التهديدات التي تترصدها ليست من خارجها، بل من الداخل. لأنّ الديمقراطية صراع الرغبات وتداولها وطرحها إزاء (داخل) بعضها البعض دون تغليب رغبةٍ على أخرى، مما يعني أنَّ المفارقات ستظل فاعلة. والأساس أنَّ دولوز يقدم في فلسفته السياسية نظرية في الحياة غير الفاشية Non-Fascist Life(٣٦).

ومن زاويةٍ أخرى، يتحدث دولوز عن الرغبة في سياق كلامه عن الحب وإطاره الفلسفي، وفي هذا لم يتطرق الحديث عن علاقة الرغبة بالنقص ولا بالحاجة

(35) Michel Foucault, Preface, PP xli- xiil.
(36) Ibid, P xiil.

بمعناها السلبي. ولعلَّ جوهر الكلام تمحوّر حول تدفقات الرغبة وموضوعها. ذلك من حيث أنَّ الرغبة لا تطلب الموضوع بحد ذاته، بل تتجه ناحية العالم الذي يحمله هذا الموضوع ويعبّر عنه، وأنَّ الخيال هو المسؤول عن حمل تلك الرغبة وطرحها في مجال آخر خلال الموضوع. يشير دولوز إلى أنَّ هذه الصورة للرغبة نجدها في الحب تحديداً الذي يتميز بالكثافة والحضور القوي، حيث يرغب العاشق بعالم آخرِ أكثر رحابة يجده في الآخر المعشوق في هذا العالم. وتتسع الرغبة بحكم اتساع رمزيتها لتمثل كُلاً يتجلى في الأعمال الابداعية وفي الفكر الحيوي. وهذا ما يجعل مشكلة الأعمال الفنية– على سبيل المثال– مشكلة وحدة unity ومشكلة كل totality، واللتان لا تتشابهان مع الجانب المنطقي والعضوي من أي موضوع، بل قد تكونان هكذا: وحدة مفقودة lost أو كلاً متشذراً fragmented بالمثل(٣٧).

إنَّ الرغبات في حدود الديمقراطية لون من سياسة المفارقة، سيولة المفارقة، تحولات المفارقة، تلك التي تحدث بنظرة كلية ومتشذرة معاً، التشظي الذي يتحقق في أي كلٍّ، لأن اختلاف المواقف والآراء الحرة (المفترض أن تكون كذلك) يجب أن تتصارع بشكل آمن في عبر الكل. ولذلك ستمثل صور الديمقراطية اقتصاد رغبات، نظراً لكونها طيات لإمكانية التحقق في الحياة العامة، رغم أنها تبدو ممارسة متماسكة يراها دولوز تتسع لمزيد من الفصام. في كتابه مع فيلكس جاتاري Felix Guattari "ضد أوديب"، يتساءل دولوز هل هناك علاقة بين الفصام schizoanaiysis والسياسة من جهة وبين الفصام والتحليل النفسي من جهة أخرى؟ ليجيب كالتالي: كل شيء يدور حول الآلات الراغبة desiring-machines وإنتاج الرغبة production of desire. لا يثير التحليل الفصامي Schizoanaiysis بحد ذاته مشكلة طبيعة المجتمع الخارج مثلاً من الثورة؛ أي لا يدعي تطابقاً مع الثورة بحد ذاتها حتى تظهر فكرة الانقسام. وبالنظر إلى

(37) Gilles Deleuze, Proust and Signs, The Complete Text, Translated by Richard Howard, (Theory out of Bounds, Volume 17), University of Minnesota Press, Minneapolis, 2000, P164.

(ISSN: 2536 - 9555)

المجتمع، فإن دارس الفصام يسأل فقط عن أي مكان يحتفظ به للإنتاج الراغب، ما الدور التوليدي الذي تتمتع به الرغبة، ما هي أشكال التوفيق بين نظام الإنتاج الراغب ونظام إحداث الإنتاج الاجتماعي؟ لأنَّه بالتأكيد هو الإنتاج نفسه الذي تجسده الرغبات. ولكن في ظل نظامين مختلفين للسلطة (الراغب والمرغوب)؛ إذا، داخل المجتمع كجسد كامل full body، هناك إمكانية للانتقال من جانب إلى آخر، أي من جانب ما حيث يتم تنظيم تجمعات aggregates الإنتاج الاجتماعي، إلى هذا الجانب الآخر، بشكلٍ جماعي أيضاً لا يقل عن ذلك. إذ يتم تشكيل التعددية الجزيئية molecular multiplicities للإنتاج الراغب؛ بمعنى إلى أي مدى يمكن للمجتمع تحمُل انعكاس السلطة لدرجة أنَّ الإنتاج الراغب قد يُخْضِع الإنتاج الاجتماعي لنشاطه، لكنه لا يقضي عليه، لأنَّه بمثابة الإنتاج ذاته الذي يعمل في ظل اختلاف نظامي السلطة؛ إنْ وجد هناك، وكيف سيكون ثمة تشكيل لمجموعات ذاتية subject-groups في الواقع[٣٨].

وهذا معناه ما يلي:

- الرغبة تمثل بنية اجتماعيةً واسعة الانتشار والتحقق على النطاق ذاته.
- البشر هم آلات راغبة– مرغوبة بالوقت عينه، لأنَّهم مصدر الرغبات وكذلك يمثلون كائنات محلاً للرغبة وهذا لا ينفصل عن السياق.
- السلطة تتخلق في انفصام أساسي نتيجة الجانب الراغب والآخر المرغوب. وهو ما يجعل الإنسان قادراً على أية ممارسة عامةٍ.
- السياسة هي المعبرة عن الفصام البنيوي في جسد المجتمعات.
- نتيجة الهوة الحادثة بين الأوضاع والفاعلين الراغبين، سيأتي النظام الديمقراطي كإنتاج لا استهلاك بلغة الاقتصاد. إنتاج للأفعال والأهداف والأخيلة الداعية للممارسة.
- الديمقراطية تختبر نظامي السلطة (الراغبة والمرغوبة)، لكونها دوائر من هذين الجانبين بشكل مرن وتداولي.

---

(38)- Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, P 380.

سياسات المفارقة

إذا كان هناك ما يميز الديمقراطية، فهي آثار المفارقات عبر المفاهيم التي تجسدها. وتبدو المسألة واقعةً بين ثنايا الأنظمة السياسية التي تحوي عناصر التنوع والاختلاف. فكل نظام سياسي ديمقراطي يفترض الجوانب المتباينة والمتناقضة بين مواطنيه، تباين التوجهات والبرامج والممارسات وأنماط العيش. وبشكل صريح، المفارقات تدخل السياسة من زاوية كونها رغبات قابلة للتأثير كأفعال في الحياة. ويضع دولوز الفصام (الشيزوفيرنيا schizophrenia) في سياق اعتباره مجالاً لإنتاج الرغبات والآلات الراغبة، وكيفية الانتقال من جانب لآخر في مواقف الحياة، وما إذا كان هذا الانتقال حتمياً أم لا؟[٣٩] وذلك هو السؤال الحاسم الذي يخص إمكانية الديمقراطية.

لأنَّ كل ديمقراطية مطالبةٌ بفتح آفاق للحرية والحقوق والمواطنة، حتى لو كانت على حدود التناقضات بين عناصر المجتمع، معبرةً بذلك عن واقع الحال، ولن تكون سوى فرصة عامةٍ للعمل معاً على كافة المستويات الإنسانية. ولعلَّ منطق الإلغاء أو الإقصاء يعتبر شيئاً غريباً على الرغبة وعلى المفارقة بالمثل وهو ما يتم رفضه ديمقراطياً.

والمفارقة ناهيك عن كونِها خيطاً معرفياً كاشفاً للتناقضات التي تشوب التفكير الإنساني نتيجة صراع الرغبات، فإنَّها سياسياً تمثل خريطة فعليةً للاعتراف بالآخر كما هو وبالحقائق المغايرة والتعدد. وبخاصة أن التفكير يحاول طرح المفاهيم والصور المعرفية داخل إطار عملي على الأقل. ويُخضع كل أدواته للممارسة، وهو ما يربط الرغبات بالسيرورة والتطور عند دولوز. ولذلك ينتقد الأخيرُ كارل يسبرز Jaspers باعتباره لم ينجح في تجسير الهوة بين الرغبة والسيرورة process والتاريخ، حين رأى يسبرز أنَّ السيرورة مجرد تمزُق أو تدخُل rupture or intrusion في واقع موجود ولا تتضمن أية علاقة خيالية مع الأنا. وكأنَّ السيرورة عنصر شيطاني demoniacal في الطبيعة، بينما هي واقع اقتصادي

(39) Ibid, P 24.

(ISSN: 2536 - 9555)

مادي، عملية انتاج حيث الطبيعة تساوي (=) الصناعة والطبيعة تساوي (=) التاريخ Nature = Industry, Nature = History[٤٠].

وبذلك تعد المفارقة مسألةً عمليةً في مجالات السياسة والاجتماع بعدما أظهرها المنطق تحت عنوان مغالطات الفكر. فالواقع ليس مغالطةً ولن يكون، لكنه وجه آخر من الحياة والتعبير عن الذوات، فكيف سيكون التفكير في قضاياه متماسكاً؟ كيف سيتعامل الفكر السياسي مع تلك الازدواجية القابلة لأنْ تنتج أشكالاً جديدةً من الأفعال. من حيث كون الديمقراطية تؤكد على معانٍ ايجابية متنوعة للمجتمعات حيث تذهب ممارستها إلى النقيض أو الضد أو المختلف أحياناً.

ولا سيما أننا يجب أنْ نعيش التاريخ كما هو، حين لا يعترف بـ "لو If" المجردة من الأفعال، وإلاَّ لما أصبح تاريخاً متجسداً. فلو حدثَ غير ما حدث– في جميع العصور– ما كان ليصل إلينا. على الأقل ربما وصل بشكلٍ آخر. وهذا مستحيل.. دليل ذلك أنَّ الكلام الآن طيُّ الافتراض. إنّ "لو If" تفيد الاستبدال والمغايرة بأثر رجعي. ولكن إذا كانت "لو" في الموروثات الشعبية الدينية تفتح عمل الشيطان، فإنَّها بالفكر السياسي تفتح ممارسة الديمقراطية، تكشف وجوه المفارقات، تدفعنا لتجريب الأفكار والإجراءات. إنَّ "لو If" هي نقطة استعمال البدائل وافتراض الأفعال ورسم المستقبل.

يذهب دولوز إلى أنَّ الرغبة تحقق دلالة المفارقات على الأصالة، فرغم كون الرغبة ترتبط بالأوهام وحالة النقص، إلاَّ أن طريقاً لقطع الأوهام يتم بإنتاج طبيعي أو اجتماعي خارجي ولا يعود إلى التخييل مرة أخرى، لأن الخيال هو الذي يسمح بوجود "لو If" المحتملة التي تفيد الازدواج وأكثر. ومن ثمَّ ستكون هناك وجوه متنوعة للفعل الواحد، بل هناك أشكال لا حصر لها له وستظل قابلة للتطور والتغير. وهذا يحتاج معنى المرونة والتبدل وهو المعنى الأساسي لكل ديمقراطية، بل إنه الأساس لأية سياسة قادرة على إثراء الحياة الإنسانية. ولا ضير أن يكون الخيالي متواصلاً كوقود للتحولات والانتاج المغاير، لأن كل خيال مسكون بالرغبة

(40) Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, P 25.

التي تحركه وهو يجادلها موضوعاً بموضوع، وحركة بحركة جالباً إياها هكذا في المقدمة والمركز front and center[٤١].

وبالتالي ستأتي سياسات المفارقة كأفعال انتاجية بالمقام الأول لا تشعرنا بالنقص، إنما بضرورة البحث عن إيجاد الأشياء والنتاجات الجديدة على كافة الأصعدة في هذا العالم. فلو كانت المفارقةُ تعني ازدواجاً، فالرغبة تجعل الازدواج ازدواجيات دون نهايةٍ (بصيغة الجمع)، لأنَّ الرغبة في حدود الديمقراطية لا تتراجع خلفاً بشكل تصادمي وكابحٍ. هي تمتد وتنمو وتثمر وتنتج سواها من ممارسات، أي تبلغ إمكانياتها القصوى.

يؤكد دولوز إذا كانت الرغبة تنتج شيئاً، فإنَّ منتجها واقعيٌ وحقيقيٌ. وإذا كانت الرغبة انتاجية productive، فيمكن أن تكون انتاجية فقط خلال العالم الواقعي ويمكن أنْ تُنتج معطيات الواقع وحسب. الرغبة– كما يواصل دولوز– هي مجموعة التراكيب السلبية passive syntheses التي تقوم بهندسة الكائنات والتدفقات flows والأجسام الجزئية، والتي تعمل كوحدات إنتاجٍ. إذن الواقعي the real هو النتاج النهائي لهذه العملية، أي بفضل التراكيب السلبية للرغبة باعتبارها إنتاجاً ذاتياً للاوعي autoproduction of unconsciousness. والرغبة لا ينقصها شيءٌ؛ لا ينقصها الموضوع، بل على العكس الموضوع هو المفقود في الرغبة أو هناك الرغبة التي تفتقر إلى موضوع ثابتٍ. لا يوجد موضوع ثابت ما لم يكن هناك قمع repression. الرغبة وموضُوعها شيء واحد: أي الآلة، كآلة الآلة a machine of a machine. فالرغبة آلة، وموضوع الرغبة آلة أخرى متصلة بها. ومن ثمَّ، فإنَّ المنتج هو شيء تمت إزالته أو خصمه من عملية الإنتاج: بين فعل الإنتاج والمنتج، يصبح شيئًا منفصلاً،.. إنَّ الوجود الموضوعي للرغبة هو الواقعي في حد ذاته ولذاته The objective being of desire is the Real in and of itself[٤٢].

(41) Ibid, P 26.
(42) Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, PP26- 27.

(ISSN: 2536 - 9555)

المعنى السابق يدلُ على أنَّ الديمقراطية عملية تخليق للخيال والآفاق البعيدة والتغير حيث تجري الممارسة العمومية، هنالك سيكون النتاجُ هو الواقعي، ولئن كانت هناك نتائج معينة للحالة السياسية، فسرعان ما يتم تجازوها، لأنَّها نتاج فقد سيرورته على ما يقول دولوز. ففي الأنظمة الشمولية totalitarian– مثلما تقول أرندت– تحاول الحكومات تجميدَ الوضع على ما هو عليه، وتبدي مواءمة ظاهرية في مسايرة الجماهير وتستخدم الإرهاب بشكل محدودٍ للحيلولة دون المساس بما عرف بالأوضاع الثابتة، وتسعى أيضاً لكسب الأنصار والاتباع adherents، وحين تسيطر الشمولية تستبدل الدعاية بالتلقين وتلجأ إلى العنف المحدود لترسيخ أيديولوجيتها وأكاذيبها العملية practical lies[٤٣].

هذا الوجه للسياسة الشمولية تسعى (الديمقراطية) إلى تدميره وتذويب صوره المتكلسة، لأنَّها ببساطة لا تستطيع كبح جماح المفارقات. ولعل دولوز يبحث داخل كل ما هو شمولي عن دفقات الرغبة التي تولد واقعاً جديداً، إذ لا يعترف بالأيديولوجيا ولا بإمكانية تثبيت الأوضاع على ما هي عليه. وقال دولوز صراحة إن المنتَج المتولد يتم استبعاده بمجرد سيرورة الرغبة بطابعها الانتاجي المتواصل. لأنَّ الانتاج هو لب السياسة كرغبةٍ تعطي الحياةَ لجميع المفارقات والعلاقات المتباينة، فالشموليات تقمعُ أيَّ تناقض أو تُدخل المفارقة في دور منطقي يأتي بالطرف الغالب دوماً.

والخطّأ السياسي في كل شموليةٍ: أنَّها تتصور إذابة التأثير الذي تحققه الرغبة كإنتاج للواقع، وهو خطأ انطولوجي يدخل مجال السياسة من باب الأيديولوجيا، ويفرض عنفاً مضمراً على التنوع. ولذلك سيكون دولوز في الموعد الفلسفي لإثارة الرغبة، لا من جهة سيكولوجية كأنها إثارة ذاتية إنما من جهة إعادة البناء الجذري لفعل الرغبة. وهو فعل يأخذ مساحته من أنطولوجيا السياسة والحياة والواقع ذاته. أي أنَّ دولوز جعل هناك سياسات للرغبة لا مجرد رغبة في السياسة. والفارق هو

(43) Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism, (New Edition With Added prefaces), A Harvest Book Harcourt Brace & Company, San Diego, New York, London, 1976, P 341.

تضخم الأيديولوجيا في صور شمولية داخل المجتمعات. ويمكن التمييز بين الطرفين هكذا:

أولاً: الرغبة في السياسة: تمثل تضخماً (تكلساً) لاقتصاد السلطة الذي يظهر ويمتد على حساب التنوع ويقف لدى ذاته كعمل استهلاكي. ولا يرضى إلاَّ بالتهام جوانب الواقع لصالح الأيديولوجيا. وعادة ستكون السياسة هي الحدود القصوى لتقييد الرغبة في أُطر حاكمة.

ثانياً: سياسات الرغبة: وهي التدفق الحيوي لإنتاج أشكال الواقع، وجعله مضماراً للحرية والخلق والتعدد. وهذا ما لم تفهمه الشموليات المتنكرة في أنظمة الحكم. بحيث تستعيد وجودها كلما شعرت بأيّ تهديدٍ من رغبات متدفقة.

في جوهرها ترتبط الديمقراطية بوجوه الرغبة بكل تداعياتها، وترسم كلَّ آفاق ممكنةٍ إزاء الأحداث والحياة الإنسانية. ومن ثم تشكل ديمقراطية "لو If" مصدر إزعاج لأصحاب الأيديولوجيات إجمالاً، لأنَّ" لو" معناها ترجيح أشياء على أشياء أخرى ومعناها انشاء نقاط استبدال ما كانت لتحدث لولا وجود الممكنات المختلفة. وطرح البدائل على قدم المساواة أمام العصف الذهني brain storming والعصف الزمني والعصف الحدثي eventual storming بالمثل. وهذا فحواه أنَّها أداة تغيير جذري خلال ممارسة السياسة، فضلاً عن هاجس المجهول الذي يسكنها. وحتى إذا تمَّ فتح إمكانيتها، فهذا يدفع السياسيين للاحتماء بآليات صارمة لتقليص مساحةِ المفاجأة، فكلُّ سياسةٍ تنبني على انكار "لو If" صراحةُ أو ضمناً. ولا توجد مسافةٌ كبيرةٌ بين الصراحة والإضمار، لكون الواقع غير قابل للتفاوض بسهولةٍ ولا سيما أثناء الأحداث الجارية تحت آليات السلطة.

ليست قضيةُ الرغبة مجرد معارضة نمط معين من الحكم أو السلطة، إنما هي تعرفنا ماهية السياسي في جوهره. جميع تفاصيل الحياة ترتبط بتلك النقطة، وهي التي تغذي المفارقات في سيولة الواقع كسيرورةٍ. كأنَّ دولوز يعيد الحياة إلى فلسفة هيراقليطس بنهكة سياسيةٍ معاصرة لا تخطئها القراءة. الرغبة هي التي تخلق المفارقات بحكم سريانها كالنيران في الهشيم. في أحدى شذراته يقول **هيراقليطس** "النظام نفسه لكل الأشياء والكائنات، لم يصنعه إله ولا إنسان، لكنه كان وسيظل

(ISSN: 2536 - 9555)

دائماً: النار حيّة وستبقى حيّةً على الدوام fire ever living، مشتعلةً في كل المقاييس والتدابير measures حتى في تلك التدابير التي قد تنطفئ"[٤٤].

فليكن الفعل السياسي العام هو الروح الحُر إنسانياً، أي تُفهم الرغبة كالنيران الهيراقليطية في جميع العوالم الممكنة، ضمن جميع الممارسات، تتناقض وتتصارع وتختلف وتأتلف، حيث تعصف بأية حدود وأية قيود ولو كانت صارمةً. فالقيد أشبه بالمقاييس التي تنسحب على شيء بعينه، حينئذ يعد القيد مثله مثل المنتّج product الذي فقد طريقه من سيرورة الانتاج المتواصلة، سقط من عملية التحول. إنَّ تثبيت الديمقراطية على هيئة معينة هو الذي يسقط من تلك العملية، والمفارقات تعيدها سياسياً إلى السياق نفسه. وهنا لا تختلف الديمقراطية عن أي جوانب في الحياة السياسة، لأنَّ الديمقراطية هي النسغ الخفي الذي يقّعِد ضمنياً لهذا الأمر. وهذه القاعدة خارج المراهنة الأيديولوجية أو الفلسفية على فاعليتها.

ولذلك رغم أنَّ الديمقراطية تعنى "حكم الشعب"، سوى أنَّ تاريخها التقليدي يتراكم بمخالفة هذه القاعدة، بل كثيراً ما جرىَ التراكم التاريخي لممارسات الأنظمة السياسية بانتهاك القاعدة الفائتة تحديداً. لينفي معناها كمصطلح ذات حواشٍ فلسفية وقيميةٍ بعضه بعضاً. هنا يوجد سؤالان: ما حقيقة هذا التراكم المناقض لمفهوم الديمقراطية من داخلها؟ وهل يمكن تجاوزه وحل استقطابه أم أنه يثري السياسة؟ هذا الطرح ضروري لفهم إشكالية الديمقراطية وتطورها في أغلب المجتمعات. مشكلة كون الانحراف كامناً في جوهرها وليس أبعد من نتائج الرغبات الممتدة إلى أقصى مدى، لأنَّ الاستفهام بالمفارقة questioning with paradox يضع منطقاً للتحليل يكشفِ الموضوعات من الداخل، أي عبر أعمال التراكم وترسباته من عصرٍ إلى سواه.

وبخاصة أن السياسة كما يعبر دولوز... ليست بأي حالٍ من الأحوال علماً قصصياً قائماً على الحكي apodictic. إنها تنطلق عن طريق التجريب

(44) Charles H. Kahn, the Art and Thought of Heraclitus: An Edition of the Fragments with Translation and Commentary, Cambridge University Press, Cambridge, London-New York, 1977, P 45.

experimentation، والتلمُس في الظلام groping in the dark، والحقن injection، والانسحاب withdrawal، والتقدم، والتراجع. حيث تكون عوامل القرار والتنبؤ محدودة جداً. ولذلك من العبث افتراض وجود حكومة عالمية خارقة world supergovernment تتخذ القرارات النهائية. تماماً مثلما لا أحد حتى قادر على التنبؤ بالنمو الحاصل في مخزون النقود على صعيد الاقتصاد. وبالمثل، تتأثر الدول بجميع أنواع معاملات coefficients اللاتيقن uncertainty وعدم القدرة على التنبؤ unpredictability[٤٥].

ليس هناك شيء يوقف المفارقات عن التداعي، وبرؤية دولوز يمكنها هاهنا أنْ تكشف كامل تاريخ الديموقراطية، بل تعدُّ موضوعاً لتجسيد التغيرات، فلم يحدث التاريخ كحياةٍ بملء الكلمة سوى بهذه الوضع. والرغبة عند دولوز نوع من التحرر طالما أنها تترك موضوعاتها تتشكل على نحوٍ حر. والآن سأطرح أهم المفارقات التي تجسدها الديمقراطية وتمثل مخزوناً لدفْق الرغبات.

مفارقة المفهوم والماصدق

وفقاً لألف باء المنطق التقليدي، تنطبق مقولتا المفهوم intension والماصدق extension على ازدواج الديمقراطية، حيث يشير المفهوم إلى الفكرة المتاحة وراء القضايا، أمَّا الماصدق فينقل واقع المفهوم، وهو حقائق ينطوي عليها المفهوم ذاته. فحين نقول إنَّ المعنى يشير إلى فكرةٍ- كالحرية مثلاً- خلف مصطلح الديمقراطية، فالماصدق يعطيها وقائع لإقرار الحقيقة من عدمها. ولكن بحسب المنطق الضبابى سيكون هذا التمييز ملغزاً، وليس أقل من أنْ يستمر هذا الازدواج أو يتعايش معه مما يعود بالنقد على النظام السياسى. هكذا ظل مصطلح الديمقراطية مائعاً خلال التاريخ السياسي بين المفهوم والماصدق. بل تأرّخت أنظمتها بالازدواج المفارق والمضاد لدلالتها بين "ما تعنيه ولا تفعله وما تفعله ولم تكن لتعنيه". وتَواصلَ انقسامُها منذ الولادة المنطقية والعملية في بلاد اليونان، حتى باتَ التعريفُ شيئاً والممارسات شيئاً آخر.

(45) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, Translation and Foreword by Brian Massumi, University of Minnesota Press, Minneapolis-London, 1987, P 461.

(ISSN: 2536 - 9555)

بلغة دولوز، يعدُّ هذا أحد وجوه شيزوفيرونيا الديمقراطية والتي انبنت عليها حتى التاريخ القريب، ورغم أنَّ الفصام عائدٌ إلى صور الرغبة في حالتي التجمد (خارج السياق) والسيولة بحكم التدفق الذي يجب أنْ تجسده المفاهيم، إلاَّ أنَّ الرغبة في حالتيها تحفر حول جذور المسألة. إنها أشبه بعملية النحر الجيولوجي Geological erosion في مجرى الأنهار بين ترددات ضعيفة وتيارات قوية، بين غمر وانحسار. ومنذ النبت الأول يمثل مفهوم الديمقراطية العناصر غير المتجانسة heterogeneous، كما أنَّه يأتي كنقطة مصادفةٍ أو تكثيف أو تراكم لمكوناته الخاصة. تَعْبُر النقطة المفاهيمية conceptual point باستمرار مكوناتها، وترتفع وتهبط بداخلها... إنّ مكونات المفهوم ليست ثوابت constants ولا متغيرات variables ولكنها محض تغيرات بسيطة مرتبة وفقًا لتجاورها. إنها عملية، معيارية[٤٦].

إذا عدنا إلى هذا الانقسام (المفهوم والماصدق)، سنجده داخل المصطلح كبذور مترحلّة عبر الممارسات السياسية في إطار السلطة. ففي صورتها المنطقية logical form ربطت الديمقراطية كلمتين (وحدتين/ حدين terms) ديموس Demos شعب وكراتس kratos حكم. وهما حدان يفترضان اتساقاً للمفهوم الذى يحملانه، لكنهما سرعان ما خضعا لطريقة التفكير الفلسفي والاجتماعي والسياسي بين المفترض أنْ يكون وبين عملية التوظيف functioning[٤٧]. ذلك فيما يخص الإنسان تبعاً لماصدقاته، أي داخل حالات التكوين الاجتماعي والاقتصادي. بكلمات أخرى أمعنت أنظمة الحكم في اطلاقها الكلي فأصبحت سلطة تعصف بالآخرين. وغدت منفصلة عن فاعلها (الشعب)، حتى أمست هذه الأنظمة أو تلك موضوعاً في ذاتها. أمَّا صورة الديمقراطية عملياً practical form إذا نظرنا إلى

(46) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy? Translated by Hugh Tomlinson and Graham Burchell, P 20.

(47) Piotr Sztompka, Trust, distrust and the paradox of democracy, WZB Discussion Paper, No. P 97-003, Wissenschaftszentrum Berlin für Sozialforschung (WZB), Berlin, 1997. This Version is available at: http://hdl.handle.net/10419/50255, PP 18-121.

"حُكم الشعب"، فإننا من أول وهلة نقول إن الحدين السابقين قابلان للإنجاز، لكونهما يحيلان إلى بعضهما البعض، يشكلان عند دريدا ودولوز أهم عناصر الفيزياء السياسية كما يشير جون بروتفي(٤٨).

وبذلك تترتب على مضمونهما المعياري normative content أفعالٌ استناداً إلى:

- أنَّ التعريف ينطوي على دلالة معياريةٍ ستُقاس عليها التحولات بين عناصر المفهوم، وسيكون كما يلمح دولوز موضع تساؤل دائم عن وجودها.
- أنَّ الحكم السياسي يحمل أبعاد الممارسة بصيغة: أين المرجعية؟، وخاصة أنَّها تُنسب إلى الشعب. ولم تخل الديمقراطية (منذ البدايات الأولى إلى تحولاتها الراهنة) من ممارسات حاكمة، ضابطة، موزعة لحركتها باتساع موضوعها الشعبي.
- تخرج الممارسة في صورة مؤسسات و"هيئات" تمثل رموزاً للحكم ولحيويته وقدرته على التأثير.
- تحول الحُكم تدريجياً إلى سلطةٍ ما، تصوغ القوانين وعمليات التأسيس. ومن خلال السلطة جاءت الدساتير واللوائح والتنظيمات السياسية. أي ظهر الصراع– من جانب الرغبة– بين النموذج المعياري normative model وبين توظيف functioning الديمقراطية(٤٩).
- باتَ الشعبُ مفعولاً به لا فاعلاً للحكم. وإذا كان مضافًا إليه بعبارة "حكم الشعب"، فيبدو أنَّ المضاف إليه سياسياً لا يفيد علاقة النسبة أو الملكية. حيث ظلت الديمقراطية (تُنتزع بالثورات) من الحكم السلطوي. أي يجب على كل استبداد– تحت ضغط الشعوب– تحرير رغبة الأفعال وانتاج فائض التحولات، ورغم أن الشعب صاحب الحكم حصرياً، إلاَّ أن الاستبداد يجري

(48) John Protevi, Political Physics: Deleuze, Derrida and the Body Politic, The AThlone Press, New York, 2001, P 11.
(49) Piotr Sztompka, Trust, distrust and the paradox of democracy, P 19.

(ISSN: 2536 - 9555)

عن طريقه وفي الوقت نفسه يبتعد عنه من قبيل المفارقة. ليعيد تبرير الشرعية من خلاله... وهكذا!!

- تظل المفارقة فاعلةً من وراء هذه التكلس الذي يحدث. وليس الفصام (الثنائية بين المفهوم والماصدق) إلاَّ رغبات متوالدة واقعياً تطرح ضرورة التغيير أو على الأقل ستفترضه وتتحين الفرصة إليه.

لعلنا نكشف بنيةَ هذه العلاقة من رأي أرسطو بأن الديمقراطية هي وضعٌ سياسي يُمنح خلاله الأحرار والفقراء free and poor (الذين لهم أغلبية) السلطة في الدولة[٥٠]. ورأي أرسطو هذا في كتابه السياسة قد يمتد إلى قضايا أخرى في كتبه غير السياسية مثل كتاب فن الشعر poetics. وبخاصة قضية الاعتراف بالآخر على حد قوله في سياق كلامه عن التراجيديا. لأنَّ الفكر (من جهة انتشاره وهيمنته وتحولاته) يمثل أبلغ التمثل خلفياته في المجالات غير المباشرة (كمجالات الشعر والميتافيزيقا والأخلاق والفنون...)، يؤكد أرسطو أن الاعتراف recognition هو اعتراف بشخص أو أشخاص، ومن تلك الزاوية فقد ينطوي البعض على الاعتراف بشخص واحد فقط من جانب الآخر، عندما يكون من الواضح من هو الآخر؛ لكن في بعض الأحيان يجب أن يكون هناك اعتراف من كلا الجانبين both sides[٥١].

الواضح أنَّ المعنى هنا يكشف طبيعة أي تعريف للديمقراطية التي كانت من الأولى أنْ تقوم على الاعتراف، لأن الاعتراف سيرورة وحقوق وترسيخ لأفكار المساواة والعدالة (كما يقول أرسطو: في بعض الأحيان). فالطرفان المعترفان ببعضهما البعض قد يكونان هما الشعب والسلطة أو الشعب والمجتمع أو الشعب والشعب (التعددية). رغم ذلك نجد أنَّ الحكم بالتفكير الأرسطي "يُمنح"، "يُعطى" على أساس "وضع" معين certain condition. ويكون هذا الوضع خارج حدود

(50) Aristotle, Politics, Translated, with Introduction and Notes, by C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis-Cambridge, 1998, P107.

(51) Aristotle, Poetics, Translated with an introduction and notes by Malcolm Heath, Penguin Books, London– New York, 1996, P19.

سيطرة الشعب، علماً بأن الأخير لا يغيب عن المشهد، فالشعوب هي أضخم كيان فاعل خلال النظام الديمقراطي، وسيظل المعنى ينادي بهذا الكيان، حتى وإنْ توارى خلفَ الأحداث.

إنَّ المنح والوضع لا ينسبهما أرسطو إلى الشعب، بل إلى طبقة حاكمةٍ هي الأوليجاركية (حكم الأقلية) oligarchy، طبقة تمسك بزمام الحُكم فعلياً[٥٢]. ومع السكوت عنها كأنَّ هناك يداً خفية ستحرك "السلطة" وتقوم بتوزيعها على هؤلاء الأحرار والفقراء، كما يفترض كونها يداً نقية النوايا والعطاء. لكن تحت أية شروط؟ وفى أية ظروف؟ لم يُجِب أرسطو. وهذا من وجهة نظر دولوز نوع من المركزية في الخطاب السياسي الأرسطي، وهو خطاب نموذج، لغة قوة وهيمنة ولا تنظر إلى التنوع إلاَّ من علٍ[٥٣]. وطالما الأمر كذلك، فهناك انحراف في معاني السلطة والانحراف الذي يصب تجاه التطور والوجوه الأخرى. لقد ارتهنت السلطة بالقوى الفوقية (الأوليجاركية بمدلولها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي...)، وبالقطع لقد استثمرت القوى بالمضمون السابق الظروف الدينية والميتافيزيقية لصالحها لنيل الغلبة في الواقع.

من جهةٍ تالية، مَنْ هؤلاء الذين سيتلَقّون السلطة؟ هم الأغلبية، مجموعة من الناس (أحرار+ فقراء)، إذن هم مواطنون أرسطيون قبل أنْ يكونوا أثينيين. بمعنى أنه سيتم تقليص الشعب(هذا المضاف إليه في الديمقراطية) إلى أغلبية مهملة، أكثرية، فئة معينة دون غيرهم. هنا يعد قانون الهوية identity law of التقليدي أول ما حطمه أرسطو بنفسه، حين جعل الشعب فئةً سياسية بعينها.

لأنَّه عندما منحَ أرسطو السلطة على أساس التمايز، فذلك الأمر يعارض قانون الهوية. يقول قانون الهوية إنَّ الشيء هو الشيء ذاته ويستحيل ألاَّ يكون غير الشيء، أي أنَّ (أ = أ). لكن أرسطو قرر– بناء على التمايز الطبقي– أنَّ الشعب ليس هو الشعب. إنه طبقة منه، نخبة حاكمة، أقلية تمسك بزمام السلطة

(52) Aristotle, Politics, Translated, with Introduction and Notes, by C.D.C. Reeve, PP 111-113
(53) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, Translation and Foreword by Brian Massumi, P 101.

(ISSN: 2536 - 9555)

لتظل حاكمةً على أقليات أخرى. وبالتالي يُعاد تشكيل الجسد السياسي political body ففي مماثلة مع الجسد البيولوجي، لكن هذه المرة تصبح الرأس(الدماغ– النخبة) أكبر من حجم الجسد كله. ألمح دولوز إلى أهمية الجسد بلا أعضاء body without organs، وهو فضاء الرغبة الطليقة، بوح الرغبة من حيث كون الجسد هو عجينة الرغبات الممتدة والعميقة داخنا وخارجنا. ويوازيه السوسيوس socious، فهناك الجسد الاجتماعي كجغرافيا للرغبات المتدفقة مع الكوربوس Corpus. السياسة نوع من التجريب البيولوجي والاجتماعي، ولن تكون إلاَّ بشكل عاصفٍ(٥٤).

هكذا كان تدمير قانون الهوية الأرسطي منطقياً أول بذور الفعل الديمقراطي سياسياً. كأنَّ هدم المنطق أول شروط السياسة بشكل رغبوي انتاجي، لقد ظلت فكرة السلطة تتلاعب بالمنطق حتى اللحظة لتأت الرغبةُ متلاعبة وفاتحة الاثنين على الزمن والاختلاف. وعندئذ بدا واضحاً تعارض المنطق والسياسة في التفاصيل. ورغم أنَّ أرسطو أراد بالمنطق في كتابه "الأورجانون" Organon أنْ يكون آلة للتفكير على الصعيد النظري والعملي، ولمعرفة صحة الأفكار من زيفها(٥٥)، لكن أثبتت التقاليد السياسية اليونانية تغليب منطق المنح (منح السلطة) والمنع على منطق الحق والاعتراف. وهنا تكمن المشكلة– كما يرى ريموند وليامز R. Williams– لتسقط الديمقراطية في مفارقة الصراع السياسي والاجتماعي طوال تاريخها، لأنَّها تعبر عن تغيير الثقافة السائدة. مما يجعل الديمقراطيةَ واقعةً في دائرة النقد المتواصل من جهة التقاليد والنظريات والأفكار المؤسسة. هذا يثير كيفيةَ التغيير، سواء أكان بشكل ثقافيّ طويل الأمد وغير عنيفٍ أم على نحوِ ثوري revolutionary(٥٦).

(54) Ibid, P 150.
(55) Aristotle, Organon, Edited by Roger Bishop Jones, Oxford University Press, New York, 2013. P37.
(56) Raymond Williams, Politics and Letters: Interviews With New Left Review, With An Introduction Geoff Dyer, Verso, London- New York, 2015, PP 413-414.

ولئن كان وليامز قد وضع السياسة على مفترق طرق تنتهي إلى الثقافة، فإن دولوز يفتح الطريق أمام جوهر السياسي ذاته political itself، بكلمة أخرى جوهر السياسة الجذرية radical politics[٥٧]. والسياسي متأصل في الطبيعة البشرية من غرائز ونزعات ورغبات ويتجلى عبر العلاقات والمؤسسات والخطابات التي تنظم التعايش والحياة[٥٨]. إذن الجوهرُ هو القوة الانتاجية للرغبات، تلك التي تستبطن اللاوعي والوعي. من هناك يأتي التغيير عميقاً لإنتاج آلات الرغبة ومؤسسات الرغبة في الحياة الجارية كما كان يتحدث بصدد فرويد[٥٩]. وهذه القوة لا يعنيها من قريب أو بعيد كسب المراحل، لكنها تجعل مفارقة المفهوم والماصدق طاقة مختلفة للتغيير، تطرح مزيداً من الآفاق والاهتمامات بقضايا جديدة مثل ممارسة الحرية وكسر قيود المجال العام وتداول الرؤى والأفكار المنفتحة. ولعلَّ نظريات الديمقراطية لا تقف طويلاً عند استقطاب الثنائيات، إنما إثارة الخيال وتدقيق الأفعال والقيم لمزيد من الممارسة الديمقراطية[٦٠].

مفارقة الاسم والمسمى

تتجلى هذه المفارقة حين يكون اسم الديمقراطية شيئاً بينما يُولد مُسماها كشيء مغاير تماماً. نتيجة عدم تحقق الديمقراطية كما هي مأمولة. وبخاصة أنَّ كل اسم كما يعتقد رسل Russell يرتبط بمدلوله طالما يحمل شيئاً من أبعاد الزمان والمكان. وحتى قد يغدو الاسمُ اسماً افتراضياً إذا أشار إلى معرفة ممكنةٍ أو اصطلاحية. من ثمَّ يؤشر الاسمُ إلى مجاليه الفعلي والافتراضي، ويواصل دلالته بهذه الاشارة. ولكن المفارقة هنا تحد من مصداقية الاسم على الجانبين، لأن

(57) Saul Newman, Power and Politics in Poststructuralist Thought, New theories of the political, Routledge, London and New York, 2005, PP31-50.
(58) Chantal Mouffe, The Democratic Paradox, Verso, London- New York, 2000, P 101.
(59) Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, P57.
(60) Bonnie Honig, Emergency politics: Paradox, Law, Democracy, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2009, 139- 141.

(ISSN: 2536 - 9555)

ضعف حالة الديمقراطية يعني أكثر من الارتباط بينها وبين اسمها، لدرجة أنَّ معناها التقريري كـ"حكم الشعب" تحوّل تاريخياً إلى شيء آخر تحت محض شعار: "باسم الشعب" In the name of people.

- الجانب التمثيلي غدا معترفاً به حتى من جانب اللغة والممارسات الديمقراطية العامة.
- نشوء سلطة مُترحلة تمسك بزمام الاسم أو تخلعه على شيء سواء أكان شخصاً أم نظاماً.
- الاسم يفتح فضاء للأفعال أخرى بالإنابة وليس بالأصالة. لأنَّ كل اسم متاح للتداول والاحلال محل أشياء أخرى.
- هذه المفارقة تحقق من جهةٍ أخرى سيولةَ اللغة وعلاقتها بالخطاب المتداول، لأنَّ الانحراف يصبح قوة هادرة تنكس البناء التقليدي وتفتح الآفاق لخطاب مغاير.
- تشكل ممارسات الأسماء الديمقراطية حضوراً مقوى للمعاني، وهو تكثيف المعاني بمرجعية قريبة جداً من الأفعال.
- هناك بحكم استعمالات الاسم بهذه الصورة قداسة من نوع "دلالة الإله"، كلُّ ديمقراطية تأخذ زخمها من إيمان ما يطفر ويتجاوز موضوعاته. هو الرصيد الميتافيزيقي الذي يختزن تاريخ المقدس في مفاهيم القوة والسياسة ويظهر في تحولات الديمقراطية.

قاعدة ذلك أنَّ اللغة عند دولوز تحمل أكثر من التعبير، "إذ يجب أنْ يُفهم التعبير ليس فقط على أنه الوجه واللغة، أو اللغات الفردية، ولكن كآلة جماعية سيميائية semiotic collective machine موجودة مسبقًا وتشكل أنظمة للعلامات regimes of signs. إنَّ تشكيل السلطة هو أكثر بكثير من مجرد أداة، أيضاً نظام العلامات هو أكثر بكثير من مجرد لغة. بدلاً من ذلك، فالعلامات تمارس دورها كعوامل محدِدة وانتقائية selective، فهي بقدر ما تفعل

مؤثرة في تكوين اللغات والأدوات كذلك تفعل هذا في استخداماتها وانتشارها واتصالاتها المتبادلة أو الخاصة"[٦١].

هكذا على شاكلة ما وردَ في بعض الأدبيات السياسية الخطابية .. "باسم الله وباسم الشعب". فأمست تشير إلى الأفعال والتنظيمات والعلامات جرياً مع الشعار السابق عادة بخلاف القيم التي ترسخها. أي باسم الديمقراطية in the Name of Democracy يمارس الشعب السلطة في الأنظمة السياسية. وبذات الاسم– وهنا المفارقة– قد يقهر الطغاةُ ودجالو السياسة الشعب نفسه عندما يتحول الاسم بمردوده الميتافيزيقي إلى دجلٍ، قتلٍ للاختلاف. وليس أقرب لأي ديكتاتور سوى القول باسم الله وباسم الشعب. ويظل يلوك فيها كعلّك (لُبان) لا ينتهي. وهو يعلم أنه يُخادع عقول البسطاء ويشعل الحماس بوعود فاشلة الواحدة تلو الأخرى. وذلك يستند إلى الشحنات العاطفية والوجدانية التي يسببها الاسم، وفي النهاية لن يكون هناك سوى فراغ المعنى emptiness of meaning[٦٢].

يتم فراغ المعنى لصالح امتلاء الصورة المسماة (الحياة الديمقراطية) أيضاً، لأنَّ اللغة كما قال دولوز تحيلُ إلى العلامات، وهي الوحدات اللغوية أو الوحدات التصويرية التي تتميز بالتكرار والتحقق المتتابع، والتقطيع البصري والتناوبات alternations وإعادة التدوير recycling الذي يكرس الفكرة العامة، مثل السينما الكلاسيكية حين كانت تطرح أيديولوجيا معينة من خلال الأفلام التي تكرسها[٦٣]. ولهذا تحرص الديكتاتوريات على الصورة، جاذبية الصورة كوثيقةٍ بصريةٍ تقول إنها ديمقراطية دون استبداد لاستمالة الشعوب. والصورة المرسومة

(61) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, P 63.
(62) Hedwig de Smaele, "In the Name of Democracy" :The Paradox of Democracy and Press freedom in Post-communist Russia, (Paper prepared for the ECPR Workshop on Political Communication, the Mass Media, and the Consolidation of Democracy, Turin, 22-27 March 2002), P2.
(63) Gilles Deleuze, Negotiations, 1972-1990, translated by Martin Joughin. Columbia University Press, 1995, PP51-54.

(ISSN: 2536 - 9555)

كتعبير تفصح عن الجوهري والعرضي والماهوي، هذا الثالوث triad الذي تحدث عنه دولوز في سياق فلسفة سبينوزا وما إذا كان المعبر عنه مقصوداً في ذاته أم لا؟[٦٤]

لقد أصبح ذلك الاسم السياسي يُتداول ويُخلع على الأفراد أو المؤسسات، ويكتسب مشروعية فيما ليس مشروعاً له. لا أقصد أنْ أحدد وضعاً كهذا بالتصنيف الحدي: ديمقراطية حقيقية وأخرى زائفة. لكن الأمر أعقد بكثير. ذلك أن اسم الديمقراطية تحول إلى آلية تحمل كل الازدواجيات والتناقضات الممكنة. وسيكون داعياً لإعادة تثوير خطاب الممارسة. ولهذا الاسم تكوين مركب يتسنى توضيحه بالطريقة التالية: ينطوي أيُّ مفهوم على مستويات كثيرة تدعو للانفجار الرغبوي بلغة دولوز. وعلية سيكون وضعُ المفارقة هنا ليس مزدوجاً وثنائي الجانبين dichotomic، لكنه يجسد حالة قابلية التغير المستمر continuous variable[٦٥].

وبصدد الديمقراطية كاسم يمكن الإشارة إلى طفر الاختلاف داخل بنيتها وهذا ناتج عن:

أولاً: تحديد حقوقي rights determination. أي ترجمة الحُكم باسم الشعب. وهو تحديد تحمله اللغة، ويجرى به الهيكل السياسي، متجلياً في القوانين واللوائح والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. تلك الأشياء التي تعبر عن كون "حُكم الشعب" موضوعاً مقنناً ومؤطَّراً. ولكون الفرد في الأنظمة الديموقراطية– رغم الانحرافات– غايةً في ذاته وله كامل الحقوق والامتيازات، بينما في الأنظمة الاستبدادية يأتي الفردُ تابعاً وغير عقلاني irrational[٦٦].

(64) Gilles Deleuze, Expressionism In Philosophy: Spinoza, Translated by Martin Joughin, Zone Books, New York, 1990. P27.
(65) Hedwig de Smaele, "In the Name of Democracy": The Paradox of Democracy and Press freedom in Post-communist Russia, P3.
(66) Fred S. Siebert, Wilbur Peterson, Theodore Schramm, Four Theories of the Press. The Authoritarian, Libertarian, Social Responsibility and Soviet Communist Concepts of What the Press Should Be and Do, University of Illinois Press. Urbana- Illinois, 1956, P 40.

وعلى نطاق عام، ستهدم الديمقراطيةُ الحدود الفارقة بين الأغلبية والأقلية، من حيث أنَّ الاغلبية قائمة على السيطرة والقوة لا الحقوق(٦٧).

ثانياً: فضاء ثقافي cultural space. وهو يظهر بظهور القيم والخلفيات والتقاليد التي تأتى بها الديمقراطية. بالتأكيد ليست الديمقراطية غايةً في ذاتها، وإلاَّ لأمست شكليات فارغة من المضمون. هي مهمةٌ لأنها تدل على معطيات إنسانية وحياتية معينة. والأبرز أنَّ تلك الخاصية تمثل قيداً وانتهاكاً لحالة الديمقراطية. فهنا يمكن أن يتسع محيط الادعاء والتفلُّت من الحقوق والواجبات. وقد يحمل الفعل (حَكم) دلالات الفهم الخاص للثقافة والأخلاقيات ويمثل باباً لدخول التشويه عليها. وهنا يتساءل دولوز ما هي الديمقراطية الاجتماعية التي لا تطلق النيران عندما يتمرد الفقراء على سبيل المثال؟، أي أنّ الديمقراطية لها أنياب قد تضم رأس أقرب الناس إليها(٦٨).

ثالثاً: خيال سياسي political imagination. وهو الجانب الذي يمثل تخطيطاً لإمكانيات التغيير في الأنظمة السياسية والقوانين والأشخاص. فالديمقراطية– طبقاً لقاعدة الشعب– تفترض التغييرات الجذرية وفقاً لمجرى الأداء والإنجاز. لكن هذا الخيال قد يتجمد. كما في الأنظمة الديكتاتورية، حينما تزعم لنفسها حُكماً ديمقراطياً خالصاً. وهى تسلك عكسه مع سبق الإصرار والترصد، كحال بعض دول الشرق الأوسط.

أمَّا عولمياً وهذا يحدث بالاسم أيضاً، فالعمل الأخطر بصدد الخيال أنْ تتولى بعض الأنظمة السياسية "تصنيع الخيال السياسي" لتسويقه في المشهد العالمي بين الدول. حيث يؤدى الإيهام دوراً مؤثراً، فباسم الديمقراطية، يُقال على سبيل المثال حرية اقتصادية أو شفافية تبادل المعلومات أو حرية الاختلاف كما في الدول ذات الإطار الرأسمالي المتوحش، بينما هي "حريات مسخ" بمقاييس الديمقراطية. ويمكن أن نطلق علي هذه الأنظمة "الديمقراطيات الزئبقية" القابلة

(67) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, P 105.
(68) Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy?, P 107.

(ISSN: 2536 - 9555)

للتلون تبعاً للقوى المهيمنة، وهي بالوقت نفسه تفتح الباب على المجهول، على إمكانية الرغبات بصورة عاصفة.

من هنا نأخذ أطراف الديمقراطية (داخلياً وخارجياً) حين تخضع لوضعية الاسم بالتخطيط التالي:

- مرجعيات (ثقافة، تاريخ، قيم، أديان، مذاهب).
- تنظيمات: حكام (رؤساء، رؤساء وزراء– برلمانات، مجالس)... محكومون (شعوب).
- آليات (هياكل، أبنية، مؤسسات، اجراءات، هيئات).
- قوى تتشكل أثناء الممارسة: داخلية (أحزاب، كتل، نقابات، جماعات ضغط)، خارجياً (قوانين دولية، منظمات حقوقية، دول كبرى).

إنَّ حركة النظم السياسيةُ يُعاد خلالها– باسم الديمقراطية– إنتاج المرجعيات. ذلك مع وجود الهياكل والتنظيمات، سواء أكانت انتخابات أم برلمانات أم مناصب إدارية أم قوانين. تبقى فكرة باسم الديمقراطية بمثابة "الشاحن" الذي يدفع أو يبرر الممارسة في المجتمعات سلباً وإيجاباً. وإذا كانت فكرة باسم الديمقراطية هي المبرر القوى للانخراط فيها، فإنّها تعطينا فرصة لمعرفة: كيف تتعايش الديمقراطية مع المجتمعات التقليدية وغير التقليدية؟ وبأي منطق تظهر القيم هنا أو هناك بحسب الممارسات الخطابية السياسية؟ وهل ثمة علاقة بين انتاج الثقافة والسياسة؟ وأي تنظيم يمكن أنْ يصلح لمجتمع دون غيره؟

وحتى على الصعيد السلبي: لماذا تنقلب الديمقراطية على ذاتها وباسمها؟ وما الأسباب البنائية التي ترسخ فرضية باسم الديمقراطية حتى باتت الشعارات الرسمية (مع وضد) بالوقت نفسه؟ ما هي أشكال انتهاك الديمقراطية بتلك الفرضية تحت مزاعم شتى؟ وهل يرجع ذلك إلى أخطاء في الجوانب النظرية أم العملية؟ وكيف ترتهن تلك الجوانب بالمرجعيات المهيمنة؟ ومفارقة (الاسم والمسمى) تكشف الأفعال المستحيلة وغير القابلة للتصديق، والسياسة هنا بمنطق دولوز هي فن المستحيل art of impossible لا الممكن. **يقول دولوز** "إنَّ قوة المفارقة أنها

ليست تناقضية contradictory، لأنَّ مبدأ التناقض ينطبق على الواقعي والممكن، وليس على المستحيل الذي يُشتق منه..."[٦٩].

مجدداً يمكن أنْ نضرب مثالاً عالمياً على كيفية ظهور خلفيات "باسم الديمقراطية"، وهو مشكلة "التدخل في شؤون الدول" الذي أقرته الإدارة الأمريكية سابقاً تحت لافتات ديموقراطية أشعلت حروباً وصراعاً لم ينته وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد زعمت أنَّها تحاول ترسيخ قيم الديمقراطية لدى الشعوب التي تتدخل في شؤونها كما فعلت مع بعض شعوب الشرق الأوسط (برامج مراقبة الأنظمة السياسية لتطبيق الديمقراطية وربط المعونات والمساعدات بذلك). فمن الذي أعطى "بوش الابن" آنذاك حقاً كونياً كي يتحدث عن الأوضاع السياسية للدول الأخرى؟! وهل ذلك يمثل بُعداً متسقاً مع طروحات الديمقراطية أم لا؟ وقد سارت الفكرة عبر رؤساء أمريكا باراك أوباما ودونالد ترامب حتى اللحظة. وانقلبت الديمقراطية على ذاتها داخل أمريكا، وهذا معناه من وجهة نظر دولوز أنَّه حتى الدول الأكثر ديمقراطية كأمريكا قد تُسهم في انتاج البؤس البشري human misery بهذه الطريقة[٧٠].

إنَّ خلفيات "باسم الديمقراطية" في الحالة الأمريكية تقفز بالمقدمة باسم أشياء أخرى، إذ يراها جيل دولوز معبرةً على غرار السياسات الدولية عن بديهيات السوق الاقتصادي الرأسمالي العولمي global capitalist market، فلم تكن القوى الكبرى بعيدة عن محاولات الهيمنة على الدول النامية واستنزاف ثرواتها[٧١].

أ- باسم اليمين الصهيو- مسيحي المتطرف في فترة بوش الإبن. حيث اجتاح اليمين بعض الثقافة الأمريكية السياسية لتمهيد الأرض لنبوءات الكتاب

(69) Gilles Deleuze, The Logic of Sense, Translated by Mark Lester with Charles Stivale, Edited by Constantin V.Boundas,The A Thlone Press, Lond, 1990, PP 74- 75.
(70)Paul Patton, Deleuze and Democracy, Contemporary Political Theory, 2005, 4, (400–413), On this link: www.palgrave-journals.com/cpt, P 400.
(71) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, PP 464– 466.

(ISSN: 2536 - 9555)

المقدس، التي تحدد أنه لتطهير الأرض من الفاسدين والمارقين على يد المسيح المخلص والمرتقب نزوله، لابد من تدعيم مملكة صهيون (إسرائيل) كشرط أول لهذا النزول. والتماهي هنا لا تخطئه العين بين المهمة النبوئية ومهمة أمريكا بالنسبة لشرور العالم. وأنَّ نجاح الاثنين يربطهما معاً بشكل منطقي كمقدمة ونتيجة (نجاح أمريكا ونجاح مملكة صهيون).

ب- باسم اللاهوت الاقتصادي المعولم، أعطى "بوش الابن" نفسه حقاً مجانياً واعطى رؤساء أمريكا لاحقاً الحق نفسه لإحلال الديمقراطية (السلام) على الأرض. وهى مهمة تبشيرية جديدة للجيش الأمريكي ذات طابع حربي. وليست مصادفة أنْ ترد على لسان بوش حينذاك مصطلحات "جيش الرب" Lord's army عندما كان يصف قوات أمريكا المنتشرة في أنحاء العالم، و"حملة صليبية" Crusade لمحاربة المتشددين الإسلاميين. وليس غريباً أن يجعل من تنظيم القاعدة "شيطاناً" كأنه ينشر فاعلية "لو If" عبر التاريخ المعاصر في صيغة: ماذا لو تخيلنا العالم بدون أمريكا، ثم لا يترك مجالاً إلاَّ ليلاحق الشياطين في كل مكان!!

ت- باسم صور استعمارية عولمية راقب "بوش الابن" آنذاك الخطط السياسية المحلية للدول. تلك الخطط المتعلقة بالتعليم والصحة والبنية الأساسية. فضلاً عن الهيكلية السياسية للأحزاب والانتخابات وتداول السلطة وديموجرافيا الأقليات ووضع الجماعات والإثنيات والطوائف. لا ليعطي دعماً للدول الموضوعة تحت المراقبة (وإن زعم ذلك باسم الديمقراطية أيضاً)، إنما ليخلق وليواصل الصراع بين "توم وجيري" Tom and Jerry على طريقة أفلام الكرتون الشهيرة، وليجعل لكل توم (قط) على المسرح الدولي (مسرح الرسوم المتحركة الجيو سياسي) جيري (فأراً) يقلق استقراره وينغّص حياته. حيث تمثل أمريكا دور"الكلب" الضخم... هذا الكلب كبير الحجم (كما جاء بأفلام توم وجيري) والذي يلاحق القط Tom دفاعاً عن الفأر جيري أو وقوعاً في ألاعيبه. لأن جيري Jerry كان صنيعته ويرى فيه نفسه ببقاع العالم

المترامية، وجيري يسدي إليه الخدمات تلو الخدمات، فكيف لا يقف بجانبه؟! ولم لا يتضامن معه؟!

وذلك مع الاعتراف بأنَّ معظم الدول النامية لا تستند إلى أنظمة ديمقراطيةٍ حقيقيةٍ، وتحتاج حقاً إلى إصلاحات جذريةٍ، ومع أهمية النظام الديمقراطي الأمريكي وقدراته على تجديد نفسه وما أنجزه من تقدم إنساني وحضاري، لكن يستحيل فرض الديمقراطية بالطريقة العسكرية عولمياً أو محلياً. ولاسيما أنَّ الديمقراطية تتأسس على متغيرات الثقافة والتربية والدين وتصورات العالم... وهذه تختلف من مجتمع لآخر. تتطلب عملية تاريخيةً يكون الشعب فيها بنَّاءً وممارساً لنواتج الأفعال السياسية ومُطوراً لها عبر حياته المفتوحة، شريطة ألاّ تسرق الأنظمة الحاكمة الفرص المواتية للحرية والتطور.

هكذا لا تُخْفِي ممارسة الديمقراطية الرواسب الآسنةَ الكامنة فيها، بل تلفظها على قارعة المجال العام. تلك هي حيوية فكرتها حينما تكشف المفارقات قيد التحقُّق. لأنَّ النظام الديمقراطي- بخلاف الأنظمة الأخرى- يجدّد نفسه بنفسه. وفي هذه السمة تشترك كلُّ ديمقراطية مع المعرفة العلمية كما يذهب كارل بوبر. فالاتجاه التصحيحي الذاتي self-corrective بصدد الأفكار والأفعال سنجده في مجالي السياسة والعلوم[٧٢]. فالمفارقات رغم جانبها السلبي إلاَّ أنها ترسم طريق

[٧٢] هناك تشابه بين عمل الديمقراطية والمعرفة العلمية عند بوبر، أساسه أننا نستطيع اختبار تجارنا وفق مبادئ عامة وقواعد معترف بها، وبالتالي نستطيع النقد واعادة التقييم، إذ يرى بوبر: أنه عندما تتكرر أحداث معينة وفقًا للقواعد أو الانتظامات العادية، كما في حالة التجارب القابلة للتكرار repeatable experiments، يمكن لأي شخص اختبار ملاحظاتنا (من حيث المبدأ)... وفقط من خلال هذا التكرار يمكننا إقناع أنفسنا بأننا لا نتعامل مع مجرد "صدفة" منعزلة mere isolated coincidence، ولكن مع الأحداث التي (بسبب انتظامها وإمكانية تكرار نتائجها) تعد من حيث المبدأ قابلة للاختبار والنقد بين الذوات، وبالتالي يتشكل نظام يكون دوماً قابلاً للتفنيد refutable والتكذيب falsifiable.

- Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery. Routledge, London and New York, 2002, PP 56-72.

(ISSN: 2536 - 9555)

الديمقراطية، تنحته نحتاً. حيث ستكون أنظمة الحكم وآليات الممارسة السياسية وقيم الفعل عُرضةً للانكشاف إذا ما انحرفت عن الحدود المأمولة. وهذا أمر يحتم تصحيحاً للأوضاع القائمة ولا توجد وسيلة لذلك يمكن فرضها على الديمقراطية، لأن الأخيرة تحمل إمكانيات التعديل والإصلاح والنقد الذاتي.

مفارقات (الاسم والمسمى) بهذا التكوين تمثل ضروباً من النقد العملي practical criticism الذي يحمل وعود الديمقراطية. وإذا كانت الأخيرة ثقافةً وتجارب، فإنها تَعرض ما آلت إليه أمام كافة مواطنيها. ولا تحتاج إلى إدارةٍ من خارجها، لكنها تتيح لمن يقطنها ألَّا يغيِّب الوعي عما يحدث. كأنها تقول وهي الصامتة أنها خطاب يومي (كشف حساب جذري) بما يجري لها. مثلها مثل الذكاء الاصطناعي artificial intelligence حينما يتضمن قدرته الخاصة على إعلام مستعمليه بالأخطاء في الأنظمة الافتراضية. المفارقات مساحة لتعديل المسار ورسم الحدود. وكل مراحل الديمقراطية ما لم تجُرِ بهذا المعنى، ستصل إلى طريق مسدود. لأن الديمقراطية من وجهة نظر دولوز عبارة عن سياسات جذمورية rhizomatic politics (متشعبة وضاربة الجذور الدقيقة والأصيلة تحت سطح الأحداث والظواهر مثل جذور النباتات المنتشرة تحت سطح التربة) لا مجرد مساحة للتظاهر أو الاستنتاج فقط(٧٣).

ربما سر بقاء الديمقراطية وتجاوزها للعثرات (الذاتية) كونِّها حاملة لبذور رسوخها وعمقها بهذا المعنى المنتج والمتشعب. كما أنَّها تروض الموت السياسي political death بمنطق الحياة أو تضيفه بالأحرى إلى رصيد الحياة. لأنَّها تقوم على المنافسة الحرة التي تستنفد الامكانيات لصالح ماهيتها وتطورها تلافياً للسلبيات. ولئن جاءت ملتوية هنا أو هناك، فإنها تقضي على من يمارس الخداع بأساليب سلمية تماماً لصالح الأجدى، فضلاً عن كونها تستوعب كافة التجارب الإنسانية. الديمقراطية ليست شكلاً واحداً، لكنها تختلف لحد التنوع الأصيل من مجتمع إلى آخر. وتصبح قابلةً للتشكل بمداها الأبعد وفاتحةً للآفاق أمام الممارسات دون توقفٍ.

(73) Paul Patton, Deleuze and Democracy, P 401.

مفارقة الإرادة والسلطة

تقف هذه المفارقة في ذروة المشاهد الثورية من جانب الاختلاف بين حرية الأفراد وسلطة النظام القائم، مما يكشف هناك خلّلاً واضحاً في الحياة العامة. إذ تنطوي الإرادة على مستويين، إرادة فردية وأخرى جمعية. وبمنطوق فلاسفة العقد الاجتماعي، تذوب الإرادة الفردية في نظيرتها الجمعية كما يرى لوك وهوبز وروسو. كما قد تمثل الإرادة الجمعية تجسيداً للإرادة الفردية إذا كانت قائمة على جوهر المبادئ المفتوحة. والمفارقة كالتالي: أنَّ الديمقراطية تسمح بممارسة التحرر الجمعي، غير أنَّ إطلاق الإرادة الفردية شيء صعب وسط الادعاء– كما يُقال– بأنَّ هناك أخْطاراً تهدد النظام الديمقراطي.

وأنَّ هناك مبررات سياسية يجب إبداؤها بطريقةٍ من الطرق تجاه الأفراد لضمان خضوعهم للقوانين وسلطة الدولة، والمبررات أغلبها تتم لصالح هيمنة النظام العام، أي لا ينبغي التخلي عن السلطة فردياً حتى لا تحدث ثغرات في هذا النظام. فالأفراد يجب أنْ يذعنوا بإرادتهم لإرادة أعلى هي مصدر حريتهم وقوتهم بالوقت نفسه. وأنه لو جدَّ هناك تناقضٌ كما هو مذكور، فإنه تناقض لأهداف الجميع لا أهداف نوعية.

لذلك اعتقدَ بعض الفلاسفة عدم إمكانية تحطيم عُرى الإرادة الجمعية تحت أي مبرر من مبررات الإرادة الفردية. ولا يحق للأفراد الطموح إلى ذلك (هوبز). هذا يعنى: أنّ هناك تعارضاً (وربما صراعاً) في قلب النظام الديمقراطي بين الإرادتين. وأنّ هناك تهديداً يراه ممارسو هذا النظام تجاه أقليات أو فئات. بالتالي تظهر "السلطة" التي تنفصل تدريجياً عن إمكانية التغيير، تلك التي تفتتحها الممارسة الديمقراطية، لتصبح الصورة العام للحكم وضعاً مفروضاً وغير قابل للنقاش. وبإشارة ضمنيةٍ يتحدث دولوز في كتابه مع فيلكس جاتاري "ألف هضبة" A Thousand Plateaus عن أن السيادة ترتبط بالعنف، فالحاكم العظيم (رأس النظام) فقيه وساحر مبجل في الحروب التي يتركها للقوانين، حيث يضع الحرب في القانون ويحدد مجالها ويضع لها سياقاً تجاه الشعب. إنَّ العنف في كل مكانٍ، يمكن العثور عليه هنا أو هناك، ويكون العنف بمثابة جهاز الدولة State

(ISSN: 2536 - 9555)

apparatus. وبإيعاز من ذلك، فقد يرتدي العنف طابعاً إنسانياً لمزيد من التخفي في أنظمة اقتصادية وسياسية مختلفةٍ، وذلك يستولى على نظام العلامات بمجملها حيث وجود السيادة sovereignty[٧٤].

لا يخفىَ على القارئ أنَّ دولوز يُومئ إلى عنف المجال العام نتيجة سلطة الدولة، وهو ما يحجّم مسار إرادة الأفراد، بل يشكلها ضمنياً. لأن كل سيادة عنيفة من هذا الصنف لن تقبل بأقل من التبعية. والديمقراطية تغدو شكلاً لتبرير الأوضاع السائدة ليست إلاَّ. فالعنف يستهدف الأفراد والأقليات والآخرين. وبخاصة أنَّ الدولة الحديثة كما يرى ما كس فيبر تحتكر استخدام القوة في المجال العام. ولذلك يعتبر استخدام القوة اليوم "مشروعاً" legitimate فقط إلى الدرجة التي تسمح بها الدولة أو تحددها... وهذه الطريقة التي تدعي بها الدولة احتكار monopoly الحكم بالقوة هي سمة أساسية حالية مثل طابعها كـ "مؤسسة" عقلانية وكـ "منظمة" تواصل مسيرتها[٧٥].

ذلك على أنْ تحاول القوانين والإجراءات الحقوقية (الموضوعة نتيجة احتكار القوة) قدر الإمكان تخفيض إيقاع العنف دون جدوى. فالدول بأحكام القضاء والسجون وأنظمة العقاب تمارس دورها التاريخي في عمليات الضبط السياسي والاجتماعي. وربما هذا المستوى يعود بمفاهيم الدولة انثروبولوجياً إلى مرحلة بدائية من الصراع بين نظام الدولة والمجتمع، عندما كانت المجتمعات البدائية وقبل الحديثة تعاني من كهنوت السياسة والدين. واثيرت بصددها ما إذا كانت مجتمعات متطورة أم لا في مقابل أنظمة استبدادية أدنى إنسانية[٧٦]؟

(74) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, P 425.
(75) Max Weber, "Basic Sociological Concepts", In: Sam Whimster (Editor), The Essential Weber, Routledge, London- Newyork, 2004, P357.
(76) Pierre Clastres, Society Against the State, Essays in Political Anthropology, Translated by Robert HurleY in collaboration with Abe Stein, Zone Books, New York, 1989, PP 189-190.

الفلسفة عندما تتحدث عن سياسات المفاهيم، فهذه مهمتها القصوى لجعل الإنسان أكثر وعياً بحريته وقدراته الفكرية التي تضيء الطريق، فمفهوم الإرادة عند دولوز هو مفهوم سيرورة وإبداع وخلق رؤى ومفاهيم. لكون الإرادة مجال لنشاط الرغبات والأفعال الحرة. وبالنسبة إليه ترتبط الإرادة بالخيال الفعال active imagination لا السلبي. ودوماً الخيال الفعال لا يخضع لما هو صحيح وخطأ(٧٧)، لأن الصحة والخطأ عملان ناتجان عن الإدراك والوعي. أمّا الإرادة والخيال، فهي لب الفعل القابل للتغير، التحول والتمرد. هذا الدفق المباشر والساري في صلب الحياة الإنسانية.

ولعلَّ الثورات السياسية في التاريخ تأتي من باب الإرادة الناشطة لا مجرد مظاهر السخط والغضب، لأنَّها تمثل إرادة التغيير، والثورات تخرج من هذه المفارقة بين الخاص والعام، لأن القمع السياسي يبدو حافزاً لاستنفار الإرادات ضد ما يحجب الحرية. ولئن كانت الدولة تضع حدوداً موضوعية لإدراك معنى الإرادة. فالجانب الحر من تلك المسألة هو ما يهم دولوز، فلا يمكن أنْ يكون هناك تمثيل representation لموضوع يحدُ من إرادتنا الحرة free will أو يسبق حتى القانون الأخلاقي، لكن بواسطة الإرادة الحرة يمكن تحديد الموضوعات وبالتالي يتم تحديد القوانين الأخلاقية والسياسية، وما إذا كانت متوافقةً مع الارادة الحرة أم لا، بصورة دقيقة يرى دولوز أنَّه عندما يشرّع العقل من خلال ملكة الرغبة faculty of desire، فإنَّ ملكة الرغبة تشرّع إزاء جميع الأشياء والموضوعات(٧٨).

تصر السياسة دوماً على تحويل الأفعال العامة من مجرد أنشطة عمليةٍ قابلة للتداول والتغاير إلى موضوعات معرفية راسخة في الوعي. وفي الدول الأقل ديمقراطية والمستبدة، تعتبر سلطتها موضوع معرفة ووعي معاً. كأنها تأخذ وضع الحقيقة الموضوعية التي تحتاج إلى آليات وتصورات تُلزم الأفراد بها. وهنا سيكون دور اللاوعي ملحقاً بذلك الإلزام، ليخزن الرغبات المقموعة سياسياً، لأنَّ

(77) Gilles Deleuze, Negotiations, 1972-1990, Translated by Martin Joughin. P 66.
(78) Gilles Deleuze, Kant's Critical Philosophy: The Doctrine of the Faculties, University of Minnesota Press, Minneapolis. 2003, P 70.

(ISSN: 2536 - 9555)

موضوعات المعرفة تصبح درجات للتسلط، وكأنَّ الإدراك المعرفي الواعي ينقلب إلى صور للحدود الداخلية للفعل.

وضمن هذا الإطار، تتدخل الأنظمة المستبدة في سيكولوجيا الجماهير لتدعيم قوتها المتعسفة، ذلك مخافة أنْ تفعل الديمقراطية فعلها في ترسيخ مفاهيم التغيير وتداول السلطة. وتقلص مساحة الإرادة ولاسيما قدرتها على الفعل، لأنَّ العجز أمر قد تفرضه حدود السلطة أبعد مما يتصور الأفراد. ودولوز يوضح دائماً أنَّ هدم تلك الحدود معناه أنْ يحس الإنسان بزخم الحياة وقوتها الهادرة وهي القوة التي لا تقف أمامها أية سلطة... إنَّها مسألة تقييم كل كائن، كل فعل وشغف، حتى كل قيمة، فيما يتعلق بالحياة التي ينطوي عليها. هذا هو عكس طقس الموت a cult of death.، مسألة تمثل جزءاً من العيش في العالم الذي ينتمي إليه حتى الحمقى، ليرى دولوز أنَّ الهدف هو جعل العالم موطناً حراً للإنسانية ووضع بذور حياتها بكل اصرار وإيمان دالين على أننا جزء منها(٧٩).

يؤيد دولوز الإرادة الفاعلة بصيغة الجمع تمشيّاً مع رؤيته لفكرة القوة عند نيتشه، "وجود القوة هو صيغة الجمع plural، وسيكون من العبث تماماً التفكير في القوة بصيغة المفرد، وتعمل القوة بأساليب الجمع أيضاً، والمسافة هي العنصر التفاضلي الموجود في كل قوة وهي التي تتيح لها الالتقاء بالآخرين"(٨٠). فالديمقراطيات من وجهة نظره تعطي القوةَ السياسية للمواطنين ضمن المجال العام، وبفضل التعدديةِ ستكون هناك اتجاهات وإرادات وقوى متنوعة قادرة على ممارسة القيم والأفعال الديمقراطية. وهذه الصورة بصيغ الجمع دون حدود لا المفرد. وربما ستُعطى الأهمية للشعوب من تلك الوجهة المهمة في السياسة. وبالتالي فإن وضعية الدولة تحدُّ من فوضى الإرادة لتُظهر طرف المفارقة الآخر (السلطة).

(79) Gilles Deleuze, Cinema 2: The Time-Image, Trans. Hugh Tomlinson and Robert Galeta. University of Minnesota Press, Minneapolis, 1989.P 173.

(80) Gilles Deleuze, Nietzsche and Philosophy, Translated by Hugh Tomlinson, Continuum, New York– London, 1983, P6.

هذا الخاص لا ينفصل عن العام، فقد كانت مفارقة (الإرادة والسلطة) دافعة لبعض الفلاسفة للوقوف مع الدولة ضد الأفراد، إذ رأى كارل بوبر popper أنَّ الدولة يمكن– في النظام الديمقراطي– أنَّ تتسامح مع الأحزاب الأخرى، طالما خضعت هذه الأحزاب لتلك السلطة ولقواعد التعايش المشترك، غير أنَّه يستحيل أنْ تفعل الشيء نفسه مع الأحزاب الرافضة لأسس النظام الديمقراطي وقيمه. بمعنى أنه نظام محدود بمحاذير لا ينبغي تخطيها، وأنه قد ينقلب إلى ضده إذا واجه تهديداً. أي يتحول من حيوان مستأنس إلى حيوان وحشي مفترس (لا ديمقراطية تحت التهديد). أكد كارل بوبر في كتابه "المجتمع المفتوح وأعداؤه" على رفض قبول وجود المتعصبين داخل الدولة موضحاً أنَّ هناك حدودًا للتسامح في المجال العام. وأنه من غير المعقول وجود آليات سياسية لقبول الآخر بينما ينخرط البعض في الاتجاه النقيض كالإرهاب والكراهية. فالسؤال الذي يطرح نفسه من وجهة نظر بوبر: هل ينبغي لمجتمع قائم على التسامح أن يجيز فكرة التعصب؟ وماذا لو أن التسامح عن الفعل المناوئ للنظام سيخلخل المجتمع[٨١]؟

لكن بفضل مفارقة (الإرادة والسلطة) تبدو أنَّ معالجة التعصُب لا تتم بالحجب والمنع بما يؤدي إلى عنفٍ مقابل عنف، إنما بإنضاج تجارب الديمقراطية وتدعيمها لاستيعاب جميع الآراء والاتجاهات، ثم إن النقد المتبادل والتصحيح الذاتي (لا التهديد والتسلط) كفيلان بتعديل الاتجاهات. فالديمقراطية (كنظام حر) يفترض الاحتمالات من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين. ويعطى فاعليه الحق كل الحق في التعبير عن وجودهم السياسي بكامل الاختلاف. ويستحيل احتكار الحق نفسه من قبل فئةٍ أو طبقةٍ أو أقليةٍ بخلاف الآخرين. وأنَّ الديمقراطية لا تتعامل مع الأفراد على أساس الانتماء الطبقي أو الفئوي، لكن كل الممارسات العامة تتم استناداً إلى المواطنة. القاعدة التي تعطى الإنسان كمواطن حقوقاً أصيلة، ما كان لينالها لو أنَّه مجرد فرد في فئةٍ أو طبقةٍ ما.

(81) Karl Popper, The Open Society and Its Enemies, With a Preface by Václav Havel, Routledge & Kegan Paul, London and New York, 2011, P443.

(ISSN: 2536 - 9555)

أما لو جرى عكس هذا، فيدل على:

- تحول الإرادة الجمعية collective will إلى تسلط جمعي غير قابل للذوبان بين أفراد الشعب. وعليه لا يمكن لها أنْ تُذيب هذه الارادة ممارسة الطبقية والنخبوية أو القبائلية. ذلك ما تعانيه على سبيل التوضيح بعض الدول العربية الأسيوية والأفريقية. فرغم وجود برلمانات على خلفية ديمقراطية، إلاَّ أنَّ هناك "بطانة قبائلية"– باختلاف صورها الحديثة– تؤثر على سير الانتخابات والممارسات السياسية بشكل أو بآخر.

في هذه الحالة، ليست الإرادة الجمعية سطحاً يحمل فسيفساء الشعب، لكنها نفق سياسي يحمل تأثيرات لقوى غالبة اجتماعياً، بحسب تكوينها وثقافتها. وتبدو الديمقراطية غطاءً واقياً يحمى داخله القوى التي تتواطأ مع السلطة القائمة. وتأخذه لتأدية مصالحها الخاصة، ولا نعرف بالضبط أية ديمقراطية مع أنها في الشكل محكومة ببرلمانات وانتخابات وممثلين ودوائر إعلامية مستقلة!! وهنا لا يبرئ الجانب الاقتصادي من السلطة، فالمصالح تشكل الحدود التي يحال دون الاقتراب منها وتضع السلطة نفسها عقبة أمام من يحاول التحرر، لأنَّ كل سلطة تحول المجتمع إلى حدود عضوية organic متماهية، أي جسد بلا أعضاء للهيمنة عليه واستغلاله(٨٢).

- تقليص الحرية الفردية بحجة افساح المجال للحريات العامة وبحجة أنّ الدولة في مرحلة النمو. فيقال إن هناك مصلحةً عُليا، ينبغي بإملاء من الديمقراطية الحفاظ عليها، وعادة ما يكون ذلك بمبرر حماية النظام وإتاحة المساحة للآخرين، أي ... سيكون الآخرون ضد الآخرين، وبالوقت ذاته لن نعرف من هم الآخرون سواء أكانوا يميناً أم يساراً؟! وذلك يُسمى إدارة التعايش بمنطق الصراع، حتى يكون ثمة طرف أعلى بمنأى عن الصراع، إذ يجنى ثمار السلطة، ويبقى فاعلاً عبرها، مدعياً أنه يحمل "اسم الديمقراطية.

(82) Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, P 36.

المدهش أنَّ صراعاً حول المصالح قد يكتسي شعارات ديمقراطية، لأنَّ المواقف الخاصة تختلط بما هو عام وتستغل توظيف الديمقراطية لمآرب جانبية، ليس من جانب السلطة فقط، بل كذلك من قبل الفاعلين السياسيين(٨٣). حتى أنَّ كارل شميت اعتبر أنّ اتخاذ القرارات ونسبها إلى الشعوب بعنوان الديمقراطية وحجب ما سواها من آراء وتوجهات إنما يعدُّ لوناً من الاستبداد وحينئذ تغدو الديمقراطيةُ مفرّغةً من أي محتوى(٨٤).

ومن جهةٍ أخرى، قد تُفرض قيود على الحريات الفردية، كحال بعض المجتمعات الأوربية ضمن ظروف الحرب على الإرهاب. مثل محاولة فرض المراقبة والتتبع على وسائل الاتصالات والتنقل لحماية المواطنين من الأخطار. وذلك يتم أيضاً بمبررات ديمقراطية، مع أن الوضع أحياناً يصب في مصلحة فئة ما أو لعقد صفقات سياسية. تمثل السلطة في الأنظمة الديمقراطية مشكلةً خطيرةً. التواطؤ– الذي قد يحدث– يكشف جوهر النظام السياسي للدولة. وتلك المشكلة تظهر بمقدار التناقض في عمق الديمقراطية ذاتها. ففي الأخيرة لا يوجد ما يُسمى بالسلطة بهذا الشكل التراتبي الطبقي أو المركزي. لقد وضعت بجميع أشكالها التاريخية فقط للتخلُّص من التسلط، وتذويب حالة الجمود العام إنْ حدثت. وكما تكشف تلك المشكلةُ علاقة السلطة ككيان تجريدي بما هو شعبي، وإلى أي مدى تنفصل عن الأفراد، رغم اعتمادها على وقائع فرديةٍ لا تسير بدونها.

مفارقة الحضور والغياب

تظهر المفارقة في أهمية (حضور) الشعب بشكل فاعلٍ خلال الديمقراطية في الوقت الذي (تغيبه) الأنظمة السياسية لأجل ممارستها. فهي تعنى "حكم الشعب" إلاَّ أن الديمقراطيات النيابية تنهض على الممارسة التمثيلية، ليغيب الشعب في مقابل حضور أفراد قليلي العدد. تكون مهمتهم الرئيسة هي التعبير عن أهداف

(83) Christopher Meckstroth, The Struggle for Democracy, Paradoxes of Progress and the Politics of Change, Oxford University Press, Oxford New York, 2015, P178.
(84) Karl Schmitt, Constitutional Theory, Translated by Jeffrey Sietzer, Duke University Press, Durham, NC, 2008, 76–85.

(ISSN: 2536 - 9555)

ومطالب شعبية. ولعلَّ ذلك يمثل تغييباً مقصوداً. إذ يقال إن الشعوب بتكوينها الديموجرافي كبيرة العدد ولا يمكن العودة إلى الديمقراطية المباشرة التي كانت تلاءم مجتمعاً محدوداً وحياة بسيطة وغير معقدة. لكن الواقع أنَّ التمثيل في معظم الحالات يحُول دون فاعلية النظام الديمقراطي. فالمفترض أنَّ يحضر الشعب عبر عمليات الممارسة، مع وضع آليات لذلك، بيد أنَّ فراغاً يشغله الممثلون يؤدى إلى تراكم أفعال بديلة، أفعال هي بالضرورة ليست مطابقة لموضوعاتها الأصلية ولا لفاعليها الأصليين (أفراد الشعب).

يمس دولوز هذه المفارقة عند الاعتراف بالمجموع كما هو، ليس قابلاً للتحديد الذي يقلص وجوده ولا يمكن اختزاله. يقول صراحة: لا يوجد سوى تعددية التعددات multiplicities التي تشكل حتى مجموعة واحدة assemblage أو تعمل في المجموعة نفسها: حزم في كتل وكتل في حزم packs in masses and masses in packs[٨٥]. أي أنَّ التعددية من واقع الحال هي الأساس، وليس ثمة مجالٌ لوضع أي تعدد ومجموع تحت نماذج تمثيلية يمكن اعتبارها بديلاً للأصل.

وحتى على مستوى الأفراد لا يجب من وجهة نظر دولوز أنْ يذوبوا في المجموع بحال من الأحوال. الذوبان في المجموع معناه تدمير التميُز وإدماج الكيانات المتفردة فيما لا تفرد فيه. فأقرب طريقة لمحو المعالم الأساسية للأفراد وضعهم في قطيع عام، لقد أكد فيلكس جاتاري أنه حتى الفرد في ذاته يعتبر تعددية مكثفةً وغير قابلةٍ للانطواء الكلي non-totalizable intensive multiplicity[٨٦]. وبالتالي ليست الديمقراطيةُ معنيّةً أو هكذا يجب ألَّا تهتم بعمليات التمثيل التي هي تجميع للشعوب بدرجات عامةٍ، وكأنَّ التعددية يمكن

(85) Eugene B. Young, with Gary Genosko and Janell Watson, The Deleuze and Guattari Dictionary, (Bloomsbury philosophy dictionaries), Bloomsbury, London– New York, 2013, P35.
(86) Félix Guattari, The Machinic Unconscious: Essays in Schizoanalysis, Translated by Taylor Adkins, Semiotext (e): Cambridge, MA., 2011, P 55.

اختصارها في مقولات كليةٍ. ومن قبل يربط دولوز فكرة التجميع (التمثيل) بالمكان أكثر منه بالسياسة والفكر والتنوع الثقافي والإنساني. إنَّ الإقليم territory هو التجمع الأول، وأول ما يتكون أي تجمع يوجد في الأقاليم الجغرافية المختلفة(٨٧).

إنَّ مفارقة الحضور والغياب مفارقة مكانية، تنتمي إلى جغرافيا السياسة لا إلى قيم الديمقراطية باعتبار التعددية قيمة في ذاتها يجب أنْ تلْقى تقديراً. وينبغي للديمقراطيات الإصرار الحر على الافادة من فكرة الشعب كل الشعب دون تبعيض ولا تجزيئ ولا تحجيم لقدراته المتنوعة. كما أن التجميع تصور رأسي تراتبي يخل بالامتداد الأفقي للتنوع. وليست الشعوب رأسية الموقع وإلَّا لجاءت في مرتبةٍ أدنى على الرغم من كونه أساساً لكل عملية ديمقراطية.

إذ ذاك يبدو التمثيل وضعاً بديلاً غير حقيقي حتى على مستوى الوجود والمصير. إنَّه خلل قائم على المفارقة وترى الأنظمة الديمقراطية عدم الانفكاك من هذا الحال. فماذا يعنى أن يحضر آخرون مكان الفاعل الأصلي للحكم؟ لا تُحل تلك المعضلة إلاَّ باحتمالين:

أولاً: إمَّا أنَّ ينتزع الشعب حقّه من السلطة القائمة، كما يجرى تاريخياً بواسطة التغييرات الجذرية، تجاه الأشخاص والمؤسسات المدنية والسياسية المستندة إلى فكرة غياب الفاعل. وإنْ كان" نائب الفاعل " خلال النحو يأخذ الصورة الإعرابية للفاعل، على أساس قيامه بالوظيفة اللغوية ذاتها، فالسياسة– بفضل المفارقات السالفة– تؤكد تلك الوظيفة تحت عناوين كثيرة، منها المصالح وتدعيم الطبقة أو النسق أو الأيديولوجيا. أي أنَّ نائب الفاعل (الممثل السياسي) يأخذ كل مكانة الفاعل الأصلي (الشعب). ويؤدي كل المهام التي كان يؤديها في الديمقراطية المباشرة. وهنا يجب أن يأخذ الشعب حقه، لأن ذلك نوع من التزييف العام، وبخاصة أن الوكلاء عن الشعب يتمسكون بالكلام للتعبير عن مواقفهم ومواقف الشعوب. ففي الخطاب، عبر إنتاج الكلام، لا توجد ذوات، ولكن هناك دائماً

(87) Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, P 356.

(ISSN: 2536 - 9555)

وكلاء جماعيون collective agents: وفي ما يتحدث عنه الكلام، لا توجد أشياء، بل حالات ميكانيكية machinic states[٨٨].

ثانياً: وإمَّا بغياب السلطة ذاتها أو أنْ تصبح غير فاعلةٍ من حيث أخذها بالإنابة. وهذا ما لا يحدث في الواقع. لأنَّ مجرد وجود التراتب: الفاعل الغائب ثم نائب الفاعل الحاضر على خلفية نسق سياسي/اجتماعي يعطى الفاعلين (بالإنابة/الأصليين) أهمية متدنية. وبخاصة إذا كان النظام السياسي يستعمل هؤلاء لأغراضه السياسية. بدليل أنَّ فترات الانتخابات في الأنظمة البرلمانية تشهد تصاعداً لسلطة الشعب كـ "قاعدة انتخابية" ينتظر منها التصويت والدعم. بالمقابل يظهر تراجع لهؤلاء البرلمانيين (الممثلين بالانابة)، عقب انتهاء صلاحية السلطة الممنوحة لهم، ثم سرعان ما تنعكس الأوضاع بين مد وجذر... وهكذا.

ومع أنَّ هناك نجاحات على صعيد التطورات الاجتماعية والنمو الاقتصادي وعادة يصاحبها حراك سياسي ملحوظ، غير أنَّها تتطلب دعماً متواصلاً من نسق سياسي اجتماعي، يحول دون الانحراف أثناء غياب الفاعل. وهذه استثناءات باعتراف علماء الاجتماع السياسي، بل أكد هؤلاء أنَّ الخطر الأكبر الذي يهدد النظام الديمقراطي يأتي من هذا الباب.

يوجد إشكالٌ ديمقراطي قائم على مفارقة لافتة: كيف يمكن ممارسة السلطة دون تسلط (دون سلطة)؟! وهل يمكن للأفعال بالإنابة أنْ تستأثر بالسلطة وتؤثر بها؟ وما مدى خطورة هذه الأفعال على الديمقراطية ذاتها؟ ربما تدعو الاستفهامات إلى فكرة أنَّ لكل مجتمع نظامه الديمقراطي الخاص به. لأنَّه كما رأينا تتعدد أفعال الإنابة والتوسُط: لكن في أغلب الأحوال يمثل التعدد في الأنظمة الديمقراطية تنويعاً بمرتبة الاقتراب من القضية الأم: كيف يحكم الشعب نفسه بنفسه؟ وهل هناك ضامن غير الشعب نفسه لهذا الحكم؟

---

(88) Gilles Deleuze, and Claire Parnet, Dialogues II. Translated by Hugh Tomlinson and Barbara Habberjam. Columbia University Press: New York. 2007, P 71.

جاءت بعض النظريات السياسية المعاصرة كاستجابةٍ نقدية لتلك المفارقات. وهى تقدم تحليلات فكرية ذات طابع عملي عبر أكثر من اتجاه:

١-تشخيص المشكلات السياسية بحيث تبرز الخلفية التاريخية المهمة لها، استناداً إلى الجوانب السلبية التي اكتنفت ممارسات الديمقراطية باختلاف مجتمعاتها. ويبدو هذا الاتجاه- استناداً إلى التاريخ والخبرات الحياتية والثقافية- بمثابة إظهار العمق الاستراتيجي لمقولات سياسية كمقولة أنَّ "الاحزاب هي دكتاتوريات عصرية" أو "الجماعات السياسية هو قبيلة العصر الحديث". ذلك إذا كانت تتضخم على حساب الحريات الفردية وتحول الناس إلى قطعان. ومن ثمّ تأخذ النظريات في كشف العلاقة القوية بين الجوانب السلبية في أنظمة الحكم والسلطة ومردودها على المجتمع.

٢-بلورة البدائل الملائمة في التنظيمات الشعبية السياسية وافساح المجال للحريات العامة. مع الالتزام بتلافي الجوانب السلبية لتجارب ديمقراطية كانت أقرب إلى الطبقية منها إلى أي شيءٍ آخر. ويتم ذلك عملاً بمنطق الحرية الفردية والجمعية.

٣-تأسيس الفرضيات النظرية على قاعدة نسقٍ إجمالي من الحلول السياسية لمشكلة الحكم والحلول الاجتماعية والاقتصادية لها. فإذا كانت التنظيمات الشعبية كالأنشطة والأعمال السياسية لا تخضع لفكرة التوسط بالمعنى التمثيلي(النيابي)، فهناك تنظيمات اقتصادية منفتحة تواكب حركتها لتصبح فاعلة في البناء الاجتماعي. لذلك امتدت الأفكار الإنسانية من السياسة إلى الاقتصاد ومن الرياضة إلى الموسيقى ومن المرأة والأسرة إلى الشعب. ويبدو مستحيلاً التحدث عن هذه الأشياء دون نسق يعطينا التوضيح والترابط.

٤-تطرح النظريات السياسية آفاقاً لمجتمعات كونية متعددة الأجناس والاتجاهات. وبذلك لا تستمد أهميتها من تجاوز مشكلات الديمقراطية، لكن بفضل مفاهيم وضعتها للإنسان والمجتمع والحياة والاقتصاد والأخلاق والمرأة. وهى في معظمها مفاهيم تأخذ دلالات جديدةً في المجتمع بمعناه المفتوح open society.

(ISSN: 2536 - 9555)

ومن ثم تنعقد هذه المفاهيم معاً لتأسيس واقع مختلف. حيث تشكل ما يسمى بالمرجعية النسبية. وقد تمتزج بالثقافة ومصادرها، سواء المعرفية أو الموروثة أو الاجتماعية. ولهذا ربط جون ديوي بين الديمقراطية والثقافة والتربية على أساس أنَّها مسار طويل لا يتوقف.

إنَّه لمن الصُعوبة بمكانِ حل مشكلات الديمقراطية دون تقديم هذه المفاهيم وتحديد وظائفها. بحيث يُعاد بناء المجتمع في ضوئها، وبإمكان الإنسان كإنسان أنْ يمارس حياته من خلالها، حتى تغدو ثقافةً حرةً. في هذا الإطار حاولت كل نظرية سياسية أنْ تؤسس للعلاقة بين المنطق والسياسة من جديدٍ. فحكم الشعب طبقاً لدلالة الديمقراطية لا يتم بتحول الشعب إلى مفعول به على طريقة النحو أو باعتباره اسماً، إنما هناك "علاقة هوية" غير قابلة للتبدل بين الحكم كفعل وممارسة وبين الشعب كحالة عينية وكيفية، لابد لكي يحكم الأخيرُ أن يُستغرّق في الممارسة على نحوٍ كاملٍ.

لذلك، فالديمقراطية اجتماعياً هي "حُكم الشعب" وليست "سلطة الشعب". لأنَّ هوية الشعب كوجود سياسي في أنه يحكم نفسه بنفسه مبدئياً. وهي هوية متحققة خلال القوانين والقيم الرمزية والسيادة. أما السلطة الشعبية فهو عبارة عن حالة وسط بين الأفراد والجماعات وبين نظام الحكم. بلغة المنطق فعل هوية بين الموضوع والمحمول، بالتالي تستدعى بموقعها هذا وسطاء (لقُطاء) لا يحققون فكرة التنوع. كما أنَّ السلطة الشعبية مجرد علامة على رغبة عامة قد تنحرف إلى ما يقلص تنوعها. قد تتحقق أو لا تتحقق. أمَّا "حُكم الشعب" فهو الإنجاز الذي يقوم به الشعب معاً بكيانه دون مبارحةٍ. إنَّ الشعب حين يلتقي بالممارسات السياسية المشتركة، فلا يجتمع إلاَّ بفعل ديمقراطي، إذ يمتلك أدوات الحكم والقرارات وتشريع القوانين فضلاً عن امتلاك أحلامه وكيانه، لا لتعود هذه الأشياء فتتحكم في أفراده، إنما لتفعيل حياته من خلال وجوده السياسي الذي يتمُ اغتصابه بعناوين كثيرةٍ.

وعلى طريقة دولوز حين يؤصل للمسألة فلسفياً، فهذا الالتقاء هو الالتقاء مع الآخر، لأن السياسة إجمالاً تجتمع على مائدة الدائرة بين الذوات الفاعلة، إنّها

مائدة الرغبة المتبادلة لإنجاز الأهداف الكبرى، والرغبة، سواء أكانت رغبة في موضوع ما أم كانت رغبةً في رغبة الآخر، تعتمد على هذه بنية الممكن. فنحن لا نرغب في شيء إلاَّ كما يعبر عنه الآخر بطريقة الممكن؛ أي نرغب في الآخر فقط في العوالم الممكنة التي يعبر عنها هذا الآخر(٨٩)، وتبدو أفعال السياسة من ضمن الإمكان رغم أنَّها مستحيلة مبدئياً، فكلُّ مستحيل هو ممكن بطريقة من الطرق الأخرى. ولنلاحظ أن هذا الالتقاء ليس مرتبطاً بالسياسة فقط، بل بمضامين المجتمعات وطريقة التعبير عن الاختلاف الإنساني. اختلاف هو ثري ينوع البدائل ويزيح الشمولية ويجعل ممارسة السياسة مهمة ابداعية لا تقل عن الفنون والآداب والمعارف، فالاختلاف لابد أنْ يظهر كلياً بشكل مختلفٍ(٩٠).

من هذا المنظور البيني، فإنَّ أسئلة الفردية برأي دولوز مهمة للحياة عموماً وليست حالة خاصة توضع في إحصائيات وخانات التنظيم والسلطة. وبصدد السياسة تحديداً يؤكد صديق دولوز فيلكس جاتاري: نحن نشهد التساؤل نفسه عن الفردية الذاتية، التي لا تزال قائمة في أنشطة الحياة العامة وبالقوة ذاتها من جهة فاعليتها، ولكن يمكن أنْ تكون في موقع صنع الخطاب الجماعي، أي بقدر فاعلية الأفراد يعلنون عن أنفسهم بوضوح. ويجب أنْ يُفهم مصطلح "جماعي" بمعنى التعددية التي تنشر نفسها إلى ما وراء الفرد، إلى جانب المجتمع في اختلافاته وكثرته الضروريتين، وهذا يضعنا أمام التأثير لا العدد الحسابي فقط. مما يشير إلى منطق المؤثرات، وليس منطق المجموعات المحددة delimited sets(٩١).

(89) Gilles Deleuze, The Logic of Sense, Translated by Mark Lester with Charles Stivale, P 318.
(90) Gilles Deleuze, Difference and Repetition, Translated by Paul Patton, P 68.
(91) Félix Guattari, Chaosmosis: An Ethico-Aesthetic Paradigm. Translated by Paul Bains and Julian Pefanis. Indiana University Press, Bloomington, 1995, PP 8-9.

(ISSN: 2536 - 9555)

هنا يتعين أنْ يكون الشعب حاضراً في الأنظمة الديمقراطية، وأنْ تكون حرية الإنسان معياراً لتنوع الوجود السياسي وخصوبته. هي ليست ديمقراطية مباشرةً، لأنَّها تجري كذلك بدون وسطاءٍ، بل لأنها ديمقراطية حاضرة عبر ثقافة الشعوب وحياتها ورؤاها. فالحضور هنا حالة راهنة لذاتها. حيث الفعل الذي يسمى حُكماً، لا باسمه ولا بغيره ولا بتمثيله ولا بإيهامه. وعليه يمكن تجنب المفارقات السالفة. لذلك، تحتاج الديمقراطية بأشكالها الحالية إلى نقدٍ متواصلٍ.

لكن لماذا هذه الملاحقة النقدية للممارسات؟ لأنَّ الديمقراطية– كما في دول الاستبداد الشرقي– تصبح لونا من الدجل العام. والدجل هو الإيهام بإيقاع الرغبات والأمنيات كأنَّها قانون كوني، يتجسد بضربةٍ آمرة أو بطقوس وسيطة بين الدجال ومملكة الأسرار المقدسة. وبالعملية نفسها– في الأنظمة الشمولية المُشار إليها– يفعل ممثلو الشعوب الأفاعيل والايهامات الفارغة لبيع الأحلام الاقتصادية والاجتماعية للناس، تلك المتعلقة بالثروة والمكانة، عن طريق ربط الحالمين بعالم الأسرار،.. عالم السلطة. ثمُ يتوقع أنْ يحقق هذا الربط نفسه كأنه قانون عام، بينما هم أضعف من أنْ يفعلوا ذلك، لينتهي الحكم إلى تغليب طبقةٍ على طبقة أخرى، وحصر السلطة في حزبٍ أو نخبةٍ أو عائلة أو حاكم مستبد طفيلي آتٍ من غابر الأزمنة.

الاستبداد هو دائرة المفارقات التي لا تنتهي، لأنَّه يلعب على ازدواج (السلطة والشعب) طوال الوقت داخل سياج الديمقراطية الزائفة false democracy. ومع تطور الحياة العامة وآليات التواصل، يجعل منها سركاً منصوباً للقفز الماكر من هذا الجانب إلى ذاك. كأننا في غابات مفتوحة تدعونا لاعتبار الموطنين قروداً كي يستطيعوا الحصول على أدنى الحقوق. تتحول الدول إلى أقفاص كبيرة بحجم المجتمعات ينتظر خلالها الناس "حبوب التسالي" (الوعود والخطابات) التي يرميها الحكام. وتصبح ادعاءات الديمقراطية سوطاً لا تسمع له إلاَّ صوت الضرب والتخويف. ثم يخرج هذا الحاكم أو ذاك ليلاً على شاشات التلفاز مغمغماً بعباراته اللزجة لعلَّ القرود تتقافز،.. تصرخ وتتصايح!!

خاتمة

تقع الديمقراطية بين الفلسفة والسياسة بقدر ما تكتنفها المفارقات. فالمفارقة تحتاجُ رؤيةً فلسفيةً تعرف جذور المسألة وتحولاتها بأدق التفاصيل. وطرافة المفارقات في كونّها لا تظهر الجانب السلبي فقط، لكنها تستحث الفاعلين ديمقراطياً لتجديد الممارسات وإعادة النظر في الأسس والأهداف. كما أنّها كتناقض تغربل الظواهر التي تطفو على السطح، حيث تشير إلى مواقع العطب وتحُول دون الاستبداد والتسلط. فلو حدثَ ذلك، فآثار المفارقة هي التي تجسد حال الديمقراطية.

- كان اهتمام جيل دولوز منصباً على التفكير في أصل المفارقات من حيث هو أصل "السياسي والديمقراطي"، وهو الرغبة الإنسانية كإنتاج وفيض وطفر وتطور. وقد ترتكس الرغبة فتجسد حالة من الصراع السلبي والعنيف. وهو الصراع الذي يسعى أحد أطرافه للاستئثار بالسلطة وإلغاء التنوع.
- سياسياً تشكل المفارقات سيولة الفعل لا تناقض الأطراف والمفاهيم، أي أنَّ حركة الفردية والتعددية والحرية والسيرورة هي وليدة للمفارقات والمطورة لها تباعاً. وبالتالي يأتي حل دولوز للمفارقة على صعيد الزمن والتحول لا النظام.
- تأخذ المفارقات شكل الأحداث لا الأفكار الصورية، والحدث عند دولوز له أهمية قصوى لكونه سياق من الرغبة والقوة التي تترجم الأفعال إلى واقع. أي تتجلى كتصدع بنائي داخل أفعال ويكشف كافة التفاصيل. أي هي تصوغ المنطق في وضع سياسي هو الشكل النهائي للتناقض. ومن هنا لا يمكن تجنبها طالما لم يتسق الفكر مع الممارسة.
- تعد المفارقات بمثابة الفيروس الكامن في حركة المفاهيم، أي أنَّ المفهوم يحاول أنْ يكون خالصاً منطقياً، إلَّا أن التاريخ الذي يقطعه ويختزنه يتيح التباين بين عناصره وينبت أشياء نقيضة للمفهوم ذاته ناهيك عن المفاهيم الأخرى. مما يجعل الجانب السياسي (سياسة الحقيقة) جزءاً لا يتجزأ من تكوينه.

(ISSN: 2536 - 9555)

- أبرز شيء أنَّ المفارقات تتحقق من الحياة الانسانية الأعم، وليست الديمقراطية إلا أحد وجوه الإنسان الاقرب إلى ترجمة آماله، لكنها لن تكون الوحيدة في ذلك. لأنَّ كل مفارقة تثبت أن هناك وجوهاً أكثر ثراء وانفتاحاً.
- بالطبع تفتح المفارقة عمل السياسة على المختلف، لكنها تبرز سلبياته التي يجب الانتباه إليها. لأنَّ كل سياسة تحاول أقناع مواطنيها بالاتساق المنطقي والفعلي بين المقدمات والنتائج.
- الديمقراطية عند دولوز ليست عارضة إلاَّ بمقدار ما تصبح مجرد إجراءات واحصاءات وأدوات لإدارة المجتمع، لكن دولوز يراها من جذورها العميقة بقدر ما تمس الرغبات القصوى لدينا، وبقدر ما تغير جوهر حياتنا البعيدة. وهذا هو الأمر الذي يجعلها جديرة النظر، ولذلك يرى دولوز في السياسة إجمالاً نمط التفكير الإنساني الثوري والمتدفق.
- رغم أنَّ المفارقات تتلاعب بالمفاهيم إلاَّ أنها ضروب من النقد العملي، ولذلك يعتبر النقد المتبادل والحر أحد قيم الديمقراطية الراهنة، بل تعدُّ أبرز قيمة تعرف حدود الحياة المشتركة وتطويرها.
- كل الديمقراطيات الناجحة إنما ترسخ وجودها في التاريخ الثقافي للمجتمعات، أي تغدو نمطاً من العيش الحر المستند إلى رؤى للعالم والأنسان والحياة.
- يذهب دولوز في معالجته للديمقراطية إلى اعتبارها نافذةً لمستقبل واعدٍ، بل لعالم أفضل. لأنَّ الثنائيات عند دولوز لا تعود إلى الخلف. لا تمثل طرفي علاقة في المنطق الجدلي الهيجلي مثلاً تنتظر المركب منهما، لأنَّ الرغبة تنسف الاستقطاب أو المركب لصالح شيء مختلف وجديد.
- الديمقراطية سيرورة من المفارقات كأحداثٍ ورُؤى، لا تقف عند مرحلة بعينها، بل تتيح إبداعاً سياسياً في إطار المجال العام. فالمجتمعات التي تمارس ديمقراطيتها بحرية إنما تمارسها كأنَّها لم تمارسها من قبل، الحدثُ يعطيها طابع المفاجئة والقوة والاستغراق. وينخرط فيه المواطنون على نحو كلي. وتتميز الديمقراطية بتفعيل هذا الجانب الذي يأتيها من التصورات الكلية، وهي ذروة الأحداث الحيةِ في مجتمعاتنا الإنسانية.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- Gilles Deleuze, The Logic of Sense, Translated by Mark Lester with Charles Stivale, Edited by Constantin V.Boundas, The A Thlone Press, Lond, 1990.
- Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, Preface by Michel Foucault, Translated from the French by Robert Hurley, Mark Seem, and Helen R. Lane, the University of Minnesota Press, Minneapolis, 1983.
- Gilles Deleuze and Felix Guattari, What Is Philosophy? Translated by Hugh Tomlinson and Graham Burchell, European Perspectives: A Series in Social Thought and Cultural Criticism Lawrence D. Kritzman (Editor), Columbia University Press New York, 1994.
- Gilles Deleuze, and Claire Parnet, Dialogues II. Translated by Hugh Tomlinson and Barbara Habberjam. Columbia University Press: New York. 2007.
- Gilles Deleuze, Cinema 2: The Time-Image, Trans. Hugh Tomlinson and Robert Galeta. University of Minnesota Press, Minneapolis, 1989.
- Gilles Deleuze, Difference and Repetition, Translated by Paul Patton, The Athlone Press, Continuum, London and New York, 1994.
- Gilles Deleuze, Expressionism In Philosophy: Spinoza, Translated by Martin Joughin, Zone Books, New York, 1990.
- Gilles Deleuze, Felix Guattari, A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia, Translation and Foreword by Brian Massumi, University of Minnesota Press, Minneapolis-London, 1987.

(ISSN: 2536 - 9555)

- Gilles Deleuze, Kant's Critical Philosophy: The Doctrine of the Faculties, University of Minnesota Press, Minneapolis. 2003.
- Gilles Deleuze, Negotiations, 1972-1990, Translated by Martin Joughin. Columbia University Press, 1995.
- Gilles Deleuze, Nietzsche and Philosophy, Translated by Hugh Tomlinson, Continuum, New York– London, 1983.
- Gilles Deleuze, Proust and Signs, The Complete Text, Translated by Richard Howard, (Theory out of Bounds, Volume 17), University of Minnesota Press, Minneapolis, 200064.

ثانياً- المراجع:

- Anthony H. Birch, The Concepts and Theories of Modern democracy, Routledge, London, New York, (Third Edition) 2007.
- Aristotle, Organon, Edited by Roger Bishop Jones, Oxford University Press, New York, 2013.
- Aristotle, Poetics, Translated with an introduction and notes by Malcolm Heath, Penguin Books, London– New York,1996.
- Aristotle, Politics, Translated, with Introduction and Notes, by C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, Indianapolis- Cambridge, 1998.
- Aristotle, Politics, Translated, with Introduction and Notes, by C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis- Cambridge, 1998.
- Bonnie Honig, Emergency politics: Paradox, Law, Democracy, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2009.
- Chantal Mouffe, the Democratic Paradox, Verso, London-New York, 2000.

- Charles H. Kahn, the Art and Thought of Heraclitus: An Edition of the Fragments with Translation and Commentary, Cambridge University Press, Cambridge, London-New York, 1977.
- Christopher Meckstroth, the Struggle for Democracy, Paradoxes of Progress and the Politics of Change, Oxford University Press, Oxford New York, 2015.
- Colebrook Claire, Understanding Deleuze, Allen & Unwin, Australia, 2002.
- David Altman, Citizenship and Contemporary Direct Democracy, Cambridge University Press, 2019.
- Eugene B. Young, with Gary Genosko and Janell Watson, The Deleuze and Guattari Dictionary, (Bloomsbury philosophy dictionaries), Bloomsbury, London– New York, 2013.
- Félix Guattari, Chaosmosis: An Ethico-Aesthetic Paradigm. Translated by Paul Bains and Julian Pefanis. Indiana University Press, Bloomington, 1995.
- Félix Guattari, The Machinic Unconscious: Essays in Schizoanalysis, Translated by Taylor Adkins, Semiotext (e): Cambridge, MA., 2011.
- Francesco Masulli, Sushmita Mitra Gabriella Pasi (Editors.), Applications of Fuzzy Sets Theory, (7th International Workshop on Fuzzy Logic and Applications, WILF 2007, Camogli, Italy, July 7-10, 2007 Proceedings13), Springer-Verlag Berlin Heidelberg 2007.
- Fred S. Siebert, Wilbur Peterson, Theodore Schramm, Four Theories of the Press. The Authoritarian, Libertarian, Social Responsibility and Soviet Communist Concepts of What the Press Should Be and Do, University of Illinois Press. Urbana- Illinois, 1956.

(ISSN: 2536 - 9555)

- G. W. F. Hegel, Hegel: The Phenomenology of Spirit, Translated With Introduction and Commentary by Michael Inwood, Oxford University Press, 2018.
- George Bojadziev, Maria Bojadziev, Fuzzy Logic for Business, Finance, and Mangement, (Advances in Fuzzy Systems: Applications and Theory- Volume 23), World Scientific Publishing Co. Pte. Ltd., New Jersey. London, (2nd Edition), 2007.
- Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism,(New Edition With Added prefaces), A Harvest Book Harcourt Brace & Company, San Diego, New York, London, 1976.
- Hedwig de Smaele, "In the Name of Democracy" :The Paradox of Democracy and Press freedom in Post-communist Russia, (Paper prepared for the ECPR Workshop on Political Communication, the Mass Media, and the Consolidation of Democracy, Turin, 22-27 March 2002).
- Immanuel Kant, The Critique of Judgment, Translated by James Creed Meredith, Revised, Edited, and Introduced by Nicolas Walker, Oxford University Press, Oxford 2007.
- Jacques Lacan; Jacques- Alain Miller; James Hulbert, Desire and the Interpretation of Desire in Hamlet, Yale French Studies, Number. 55/56, Literature and Psychoanalysis. The Question of Reading: Otherwise. (Yale University Press.1977).
- James Williams, Gilles Deleuze's Difference and Repetition: A Critical Introduction and Guide, Edinburgh University Press Ltd, 2005.
- John Haskell. Direct Democracy or Representative Government: dispelling the populist myth, Westview Press, Colorado- Oxford, 2001.
- John Protevi, Political Physics: Deleuze, Derrida and the Body Politic, the AThlone Press, New York, 2001.

- Karl Popper, the Logic of Scientific Discovery. Routledge, London and New York, 2002.
- Karl Popper, The Open Society and Its Enemies, With a Preface by Václav Havel, Routledge & Kegan Paul, London and New York, 2011.
- Karl Schmitt, Constitutional Theory , Translated by Jeffrey Sietzer, Duke University Press, Durham, NC, 2008.
- Max Weber, "Basic Sociological Concepts," In: Sam Whimster (Editor), the Essential Weber, Routledge, London 2004.
- Michel Foucault, Preface, In: Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia, Translated from the French by Robert Hurley, Mark Seem, and Helen R. Lane, the University of Minnesota Press, Minneapolis, 1983.
- Nicholas Rescher, Paradoxes: Their Roots, Range, and Resolution, Open Court, Chicago and La Salle, Illinois, 2001.
- Patricia Sieber, Theaters of desire: Authors, Readers, and the Reproduction of Early Chinese Song-Drama, 1300–2000, Palgrave Macmillan, USA, 2003.
- Paul Bains, Subjectless Subjectivities, in: A Shock to Though, Expression after Deleuze and Guattari, (Edited by Brian Massumi), Taylor & Francis e-Library, 2005.
- Paul Patton, Deleuze and Democracy, Contemporary Political Theory, 2005, 4, (400–413), on this link: www.palgrave-journals.com/cpt.
- Peter Winch, The Idea of a Social Science and its Relation to Philosophy, Routledge & Kegan Paul, London, (Second Edition) 1958.
- Phillipe Mengué, Deleuze ET la question de la démocratie, L'Harmattan, Paris 200.

(ISSN: 2536 - 9555)

- Pierre Clastres, Society Against the State, Essays in Political Anthropology, Translated by Robert HurleY in collaboration with Abe Stein, Zone Books, New York, 1989.
- Piotr Sztompka, Trust, distrust and the paradox of democracy, WZB Discussion Paper, No. P 97-003, Wissenschaftszentrum Berlin für Sozialforschung (WZB), Berlin, 1997. This Version is available at: http://hdl.handle.net/10419/50255.
- Raymond Williams, Politics and Letters: Interviews with New Left Review, With an Introduction Geoff Dyer, Verso, London- New York, 2015.
- Richard Boothby, Death and desire: Psychoanalytic Theory in Lacan's Return to Freud, Routledge, Chapman and Hall, Inc., New York, 1991.
- Saul Newman, Power and Politics in Poststructuralist Thought, New theories of the political, Routledge, London and New York, 2005.
- Timothy Schroeder, Three Faces of Desire, Oxford University Press, Inc, Oxford- New York, 2004.
- Zygmunt Bauman, Liquid Times: Living in an Age of uncertainty, Polity Press, USA, 2007.